انتقاءات تدبرية

من كتب الشيخ الدكتور/ ناصر العمر

(كتاب مدارج الحفظ والتلاوة - كتاب تدبر سورة الفاتحة

كتاب تدبر سورة يوسف - كتاب تدبر سورة الكهف)

انتقاء

جنى الفوائد

@g_fawaed

تصميم

Tharwat Sultan

00201019530152

بسم الله الرحمن الرحيم

انتقاء من كتاب (مدارج الحفظ والتدبر)

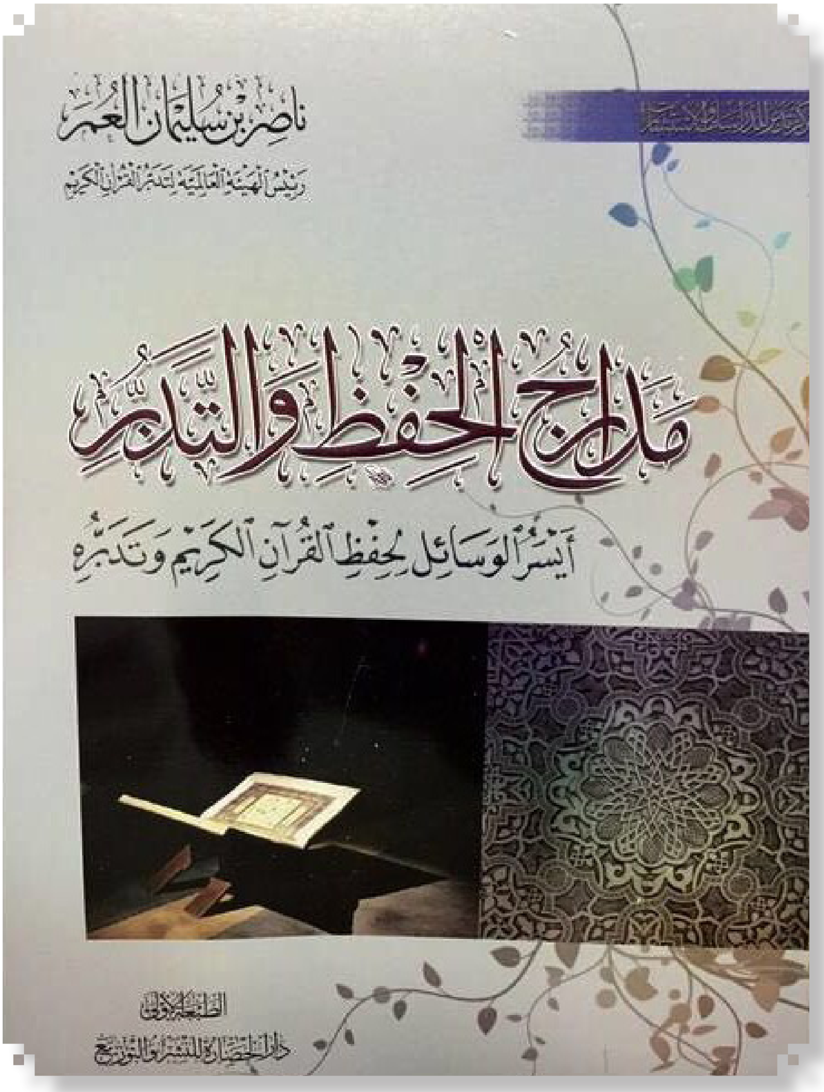

وجدتُ أنَّ سرّ السعادة الحقيقية هو في (القرآن الكريم)، ومفتاحه (التدبر) ..

تأمّل معي أيُّها المبارك: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: ١-٢]

فهل وقفتَ عندها متدبِّرًا ؟..

وخلاصةُ فهمي لها: أنه لن يشقَى مَن معه القرآن، وفي آخر السورة ما يؤكِّد ذلك ويبيّن سرّ السعادة والشقاوة : ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].

❁❁❁

الإيمان بالنسبة للإنسان هو حياته الحقيقية، هو روحُه ..

والقرآن نورٌ يُفيضُه الله عَزَّوَجَلَّ على قلب عبده، عندَ تلاوته للقرآن بخشوع وفهم وتدبر ..

وكلاهما: الإيمان والقرآن، لا بدّ منهما للإنسان، لا يمكن الاستغناء عن أحدهما بحالٍ من الأحوال، ولكن الإيمان سابقٌ للقرآن كما ثبت عن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ.

للإنسان من حيثُ اجتماع صفتي الإيمان وتلاوة القرآن أربعة أحوال:

روى الإمام البخاري في صحيحه، عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «مثل المؤمنُ الذي يقرأُ القرآن ويعملُ به، كالأُتْرُجَّةِ: طعمها طيِّبٌ، وريحها طيِّبٌ، والمؤمنُ الذي لا يقرأُ القرآن ويعملُ به، كالتَّمرة: طعمها طيِّبٌ، ولا ريح لها، ومثلُ المنافق الذي يقرأُ القرآن، كالرَّيْحَانة: ريحُها طيِّبٌ، وطعمها مُرٌّ، ومثلُ المنافق الذي لا يقرأُ القرآن، كالحنْظَلَة: طعمها مُرٌّ أو خبيثٌ، وريحها مُرٌّ» .

فالحال الأولى: يجتمع فيها الإيمان والقرآن، تشمُّ رائحةً طيّبة، ثمّ تذوق الطّعم فتجده كذلك طيبًا، ومثاله هو (الأُتْرُجَّة) .

وفي الحال الثانية: يحضر الإيمان ويغيب القرآن، فلا تشمّ رائحة طيّبة، ولكنّك إذا ذقتَ الطعمَ ألفيتَه طيّبًا، ومثاله هو (التّمرة) .

وفي الحال الثالثة: يغيبُ الإيمان، ويحضر القرآن، فتشمُّ رائحة طيّبة، ولكنّك إذا جرّبتَ وذُقتَ، لم تجد طعمًا طيّبًا، ومثالُه هو (الرَّيحانة) .

وفي الحال الرابعة: غابا معًا: الإيمان والقرآن، فرائحةٌ خبيثةٌ وطعمٌ مرٌّ، ومثاله (الحنظلة) .

يقول الحسن البصريّ: «إنّ من كَان قبلكم رأوا القُرآن رسائلَ من ربهم؛ فكانوا يتدبَّرونها بالليل، وينفذونها بالنهار» .

هذه الخطوات الثلاث:

* اعتبار آيات القرآن رسائل من ربّهم، ومن ثمّ توقيرها وتعظيمها ..

* ثمّ تدبُّرها والتّفكّر في معانيها ..

* ثمّ تنفيذها وإقامة أوامرها ونواهيها ..

خطوات ضروريّة، وترتيبها كذلك ضروريٌّ؛ ذلك أنّ العمل الراشد اتّباعًا للقرآن لا يتسنّى بدون قراءةٍ وتدبر لإدراك معانيه، كما أنّ القراءة والتدبر لا تتحقّق الثمرة المرجوّة من ورائهما، إذا لم يكن في القلب محبّة وتعظيمٌ للقرآن الكريم .

لكن هذا لا يمنع أن يقود التّدبّر إلى التعظيم، وأن يؤدي العمل إلى التّدبُّر، وأن يؤثر أيٌّ من هذه العناصر الثلاثة (التّعظيم، التّدبّر، التّطبيق) على العنصرين الآخرين .

لكن يبقى تعظيمُ القرآن الكريم هو القاعدةُ، وعلى أساسه تكون التلاوة والتدبر، وعلى أساس التلاوة والتدبر يكون الالتزام والتطبيق العمليُّ .

نجد البعض لا يتلون القرآن إلا في رمضان، ثمّ تنقطع صلتُهم به أحد عشر شهرًا !!..

وقد قال إسحاق بن راهويه وغيره: «يُكره للرجل أن يمرّ عليه أربعون يومًا لا يقرأ فيها القرآن، كما أنه يُكره له أن يقرأه في أقل من ثلاثة أيام» .

من كانت عادته المداومة على التلاوة يوميًا وتحديد مقدار يتلوه بلا انقطاع، فإن الحفظ بالنسبة إليه سهل ميسور، وسيجد في كثير من الأحيان أن ما يريد حفظه يكاد يكون محفوظًا من قبل، وأما من كان قليل التلاوة، ولا يتخذ لنفسه مقدارًا محددًا يتلوه كلَّ يوم، فإنه سيجد صعوبةً أكبر في الحفظ .. ولقد أرشدنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إلى هذا الطريق الذي هو دأب الصالحين؛ لكي نرسّخ حفظنا للقرآن وننجو من عاقبة النسيان ..

فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أن نبيّنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذَكَرَه، وإذا لم يقم به نسيه» صحيح مسلم .

حافظ القرآن في عبادة من أجل العبادات، فإن أخلص لله في حفظه قُبِلت عبادته، ونَمَت وبُورك له، وإن قصد بذلك غير وجه الله تعالى تركه وشِركه !..

وقد روى ابن ماجه وغيره حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «من طلب العلم ليماري به السفهاء أو ليباهي به العلماء أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار» .. والقرآن من أعظم العلم ..

وفي حديث: «أول مَن تُسعّر بهم النار يوم القيامة: «رجل قرأ القرآن» ليقال قارئ»!!.

❁❁❁

ينبغي لمن فاتته مرحلة الشباب أن لا يتهاون في حفظ القرآن؛ فإنه إذا فرّغ قلبه عن المشاغل والهموم سيجد سهولة في حفظ القرآن الكريم لا يجدها في غيره، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر: ١٧] ..

وهذا من خصائص القرآن، والصحابة تعلموا العلم على كبر، والقرآن أعظم العلم، وهناك من أتقنوا حفظ القرآن بعد أن تقدّمَ بهم العمر، فلم يستسلموا لدعوى أن الكبير لا يحفظ، فيسّره الله لهم .

يجب علينا اختيار وقت النشاط وراحة البال، وحبذا لو جعلنا ذلك بعد صلاة الفجر: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء: ٧٨] فهو من أنفع الأوقات لمن نام مبكرًا، وآخر الليل أفضل لمن قدر، واغتنام أوقات النشاط مهم جدًا، فلنعرف من أنفسنا متى نستطيع أن نعمل ؟.. ومتى ينبغي أن نرتاح ؟..

وتأمل في هذا الحديث الصحيح، قال ﷺ: «ليصلِّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد» وفي لفظ (فليرقد) أخرجه البخاري ومسلم.

وينبغي التنبيه هنا على أن الذي يعطي القرآن والعلم فضول الأوقات، وأوقات الخمول، ويدّخر أوقات النشاط والقوة إلى أعمال أخرى، ويبخل بها أن تُبذل في القرآن، فحريٌّ بمثله أن لا يوفّق لكثير علم فيه !.

❁❁❁

يجب عليك قبل بدء حفظ القرآن تصحيح النطق وضبط الكلمات القرآنية بالقراءة على أحد المتقنين، أو سماع المقطع الذي تريد حفظه بصوت أحد القرّاء المجودين؛ لكي تنأى عن الوقوع في اللحن ما أمكن، ولاسيما أثناء الحفظ، فالكلمة التي تحفظها بشكل خاطئ يصعب عليك تصحيحها بعد أن رسخت في الذّاكرة، أما دعوى (احفظ ثم اضبط) فهي طريقة خاطئة سلبية، بل الصحيح: (اضبط ثم احفظ).

ممَّا يُساعد على ترابط الآيات وتسهيل الحفظ :

أن ترجعَ إلى بعض التفاسير المختصرة بين الحين والآخر؛ لتفهم معاني تلك الآيات ولو على وجه الإجمال، أو على الأقل استعن ببعض كتب غريب القرآن ومعانيه، ككتاب (السراج في غريب القرآن) للشيخ محمد الخضيري - وفقه الله - ؛ فإنَّ معرفة معاني الكلمات يُساعد على توضيح المعنى الإجمالي للآيات، وهذا يساعد على استحضار السياق، ومعرفة اللاحق للأول .

بعض مريدي الحفظ يقرأ المقطع بضع مرات، فيظن أنه قد حفظه، وينتقل إلى مقطع آخر حرصًا على السرعة؛ بسبب ضيق وقته أو تنافسه مع زميله، أو إلحاح مدرِّسه، وهذا لا يثمر غالبًا، فالقليل الدائم خيرٌ من الكثير المنقطع، والحفظ السريع يؤدي إلى النسيان السريع ..

وقد ذكر أحد المتقنين للحفظ أنه أثناء حفظه كان يكرر المقطع ستين مرة، وأحيانًا ثمانين مرة مع أنه حفظ القرآن في مرحلة الكهولة، فأصبح بعد ذلك لا يحتاج إلى المصحف، رغم توالي السنون وتقدم العمر به وبلوغه الشيخوخة .

يقول ابن المنادى .. في بيان أهمية معرفة المواضع المتشابهة من آيات القرآن الكريم: «إن معرفة مواضع التشابه يساعد في تقوية حفظ الحافظ وتدريب المتحفظ، وقد وضع فريق من القراء هذا النوع ولقبّوه المتشابه، درءًا من سوء الحفظ» ..

وقد ألّف العلماء كتبًا عديدة في ذلك، ومن أبرزها: (متشابه القرآن العظيم) لأبي الحسن بن المنادى، المتوفى في سنة ٣٦٦ هجرية، وكتاب (البرهان في متشابه القرآن) لتاج القراء محمود بن حمزة الكرماني، من علماء القرن الخامس الهجري، وكذلك للسخاوي نظم في المتشابه، وقد ألف غير واحد من المعاصرين في المتشابه من أجودها كتاب (الضبط بالتقعيد) لفواز الخنين، وبعضهم اعتنى بإعداد دورات تساعد على ضبط المتشابه .

كلما كانت الختمة في عشرة أيام أو أسبوعين كان أقوى للحفظ، وقد ذكر بعض الحفاظ، كالشيخ صالح ابن حميد إمام المسجد الحرام، أن الختمة كل أسبوعين هي المعدل المناسب ..

وبلغني أن الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يقوم الليل بجزأين من القرآن!!..

مع أن المراد والغاية هو استمرار التلاوة لكتاب الله، وليس مجرد الحفظ ..

فهل حفظت إلا من أجل الإكثار من ذكر الله، والقرآن أعظم الذكر؛ ولذا كان كثير من السلف يختمون كل ثلاثة أيام .

اعلم أخي أنّ حقيقة الحفظ في الشّريعة هي ما ورد في قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «احفظ الله يحفظك» ..

يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ: ««احفظ الله يحفظك» كلمة جليلة عظيمة، احفظ اللهَ، وذلك بحفظ شرعه ودينه، بأن تمتثل لأوامره وتجتنب نواهيه، وكذلك بأن تتعلَّم من دينه ما تُقوِّم به عبادتك ومعاملاتك، وتدعو به إلى الله عَزَّوَجَلَّ».

فإذا ما وُفّقت إلى تحقيق هذا الحفظ، كانت العاقبة أن يكلأك الله عَزَّوَجَلَّ بحفظه وكنفه الّذي لا يُرام؛ فيحفظك في دينك وفي بدنك ومالك!.

ينبغي لحامل القرآن أن يكون على أكرمِ الأحوال وأكرمِ الشمائل، قال الفضيل بن عياض: «حاملُ القرآن، حامل راية الإسلام؛ لا ينبغي له أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، وينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى الخلق حاجة لا إلى الخلفاء فمن دونهم، وينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه».

❁❁❁

هنالك آلاف المدارس المختصة بتحفيظ القرآن الكريم، فهل توجد عشرات المدارس المختصَّة بتدبُّر القرآن وتعليمه ؟!..

إنَّه حقًا أمرٌ مُلفتٌ للنَّظر، وقد علمنا أنَّ من أعظم غايات إنزال القرآن هو :

أن نتفهّم ما فيه من أحكامٍ؛ لنعمل بها ونطبِّقها، حتى ولو لم نحفظه، إذ أنّ الله تعالى لم يُكلّف العباد بحفظ القرآن كاملًا، بل يكفيهم من الحفظ ما تصحُّ به صلواتهم، أما تدبّر القرآن ومعرفة معانيه فالأمة مأمورة ومطالبة به، وواجب حسب القدرة والإمكان .

❁❁❁

ينبغي أن تكون حالُ تالي القرآن مع كتابِ الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال الآجُرِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يتصفَّح القرآن؛ ليؤدِّبَ به نفسه، لا يَرضى من نفسه أن يؤدِّيَ ما فرض الله بجهل، قد جعل العلم والفقه دليله إلى كل خير، إذا درس القرآن فبحضور فهم وعقل، همَّته إيقاعُ الفهم لما ألزمه الله من اتِّباع ما أمر، والانتهاء عمَّا نهى، ليس همته متى أختم السُّورة؟!.. بل همته متى أستغني بالله عن غيره؟.. متى أكون من المتقين؟.. متى أكون من المحسنين؟.. متى أكون من المتوكلين؟.. متى أكون من الخاشعين؟.. متى أكون من الصابرين؟.. متى أكون من الصادقين؟.. متى أكون من الخائفين؟.. متى أكون من الرَّاجين؟.. متى أزهد في الدنيا؟.. متى أرغب في الآخرة؟.. متى أتوب من الذنوب؟.... إلخ».

***

*** التّدبُّر منهج النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. فالأحاديث تدل على عنايته بالتدبر**، ويتأكد ذلك في رمضان، كما روى ابْن عَبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجود بالخير من الريح المرسلة».

لم يقل أنّ جبريل كان يضبط عليه القرآن، بل يُدارسه، والمدارسة تختلف عن التلاوة أو الضَّبط، فهي تتعلق بالحروف والمعاني؛ ولذلك في الحديث: «ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينه..» فجعل المدارسة غير التلاوة، والتدبر من المدارسة .

الفرق بين التدبر والتفسير:

أن التدبر أوسع من التفسير، فالتدبر يحصل من كل مسلم حتى ولو لم يمتلك آلة تؤهله لأن يُفسّر القرآن ويُبحر في غوامضه، بل كلُّ مسلم مأمور أن يتدبر القرآن وليس كل مسلم مأمورًا أن يفسّر القرآن، إذ إن للتفسير شروطًا، وللمفسِّر مؤهّلات لا بدّ من توفّرها فيه.

وعليه؛ فبين التدبر والتفسير عموم وخصوص، من جهة أن التدبر أعم من حيث حصوله لكل مسلم، والتفسير أخص لمن يملك أهليته، كما أن التفسير شامل للتدبر الذي هو جزء من علم التفسير .

وأمر التفسير أشد خطرًا من أمر التدبر؛ لأن المفسر يُعيِّن مراد الله جل وعلا من كلامه ويقرره لغيره، أما المتدبر فلا يسمى متدبرًا إذا لم يكن متابعًا لدلالات القرآن، بل قد يحصل له قدر من التدبر وإن لم يفهم

المعاني التفصيلية التي يبحث فيها علم التفسير؛ ولهذا اشتد نكير أهل العلم على من فسر كتاب الله برأيه، فقالوا:

"من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ" .

قال بعض العلماء: إن التدبر لا يكون إلا للعلماء كالتفسير !!..

وقد ردّ عليهم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في كتابه أضواء البيان، عند تفسير قوله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤] ردًا مفحمًا، وهو طويل يرجع إليه هناك، وملخصه: «أن الله عاتب الكفار والمنافقين الذين لا يتدبرون القرآن، ومعلوم أن الله لا يُكلف إلا بما يطاق، فإذا كان المنافقون والكفار مأمورين بالتدبر، وهم قادرون عليه؛ فغير العلماء من المسلمين أقدر على التدبر من الكفار والمنافقين إذا كانوا يعرفون اللغة العربية؛ لأنهم أعظم فهمًا من أولئك، ولذا فهم معاتبون من باب أولى إذا لم يتدبروا؛ لأنهم قادرون على التدبر، والقول بأن التدبر جائز بل مطلوب من الكفار والمنافقين، ومحرم على غير العلماء من المسلمين قول ضعيف لا تسنده الأدلة ولا الواقع، بل إن الأمر خلاف ذلك».

اعلم أنَّ الإخلاص مفتاحُ العلم والفهم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ..

فاجعل قصدك وهدفك من القراءة والحفظ والتدبر هو التقرب إلى الله سبحانه، واستحضار أن ما تتلوه هو كتابه تعالى، واحذر أن يكون دافعُك نيلَ مكانة بين الناس، أو الحصولَ على بعض المكاسب الدنيوية والمكافآت البشرية، فالله سبحانه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا صوابًا .

❁❁❁

القلب المظلم بالمعاصي، والمشغول بالتكالب على شهوات الدنيا، يضيق بنور القرآن الكريم؛ لإيثاره الدنيا .. والمعاصي حاجزٌ عن حفظ القرآن ومراجعته وتدبّر آياته، ووساوسُ الشيطان تصرف عن ذكر الله .

❁❁❁

قراءة كتب التفاسير تساعد على التدبر، وكلما كان علم المرء بكتاب الله أتم، كان تدبره له أكمل؛ فعلى من رام تدبر الكتاب العزيز أن يطالع التفاسير، وبعض الناس يذهب أولًا إلى تفاسير تُعنى بالدقائق اللغوية، والنكت البيانية، على تخليط فيها، وما هكذا تنال العلوم !..

بل بالتّدرج فيها شيئًا فشيئًا، فيبدأ بتفسير من أخصر التفاسير وأيسرها، إلى ما هو أكثر تفصيلًا، ولْيختر الكتب التي عُرفت بسلامة المنهج وصحة العقيدة: كتفسير ابن كثير والسعدي وغيرهما .

❁❁❁

قال ابن عبدالهادي عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان يقول ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مئة تفسير ثم أسأل الله الفهم !.. وأقول: يا معلم آدم وإبراهيم علمني !.. وأسأل الله تعالى وأقول يا معلم إبراهيم فهمني !..

ويذكر قصة معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقوله لمالك بن يخامر لما بكى عند موته وقال: «إني لا أبكي على دنيا كنت أصيبها منك، ولكن أبكي على العلم والإيمان اللّذين كنت أتعلمهما منك»!.. فقال: إن العلم والإيمان مكانهما، من ابتغاهما وجدهما، فاطلب العلم عند أربعة، فإن أعياك العلم عند هؤلاء فليس هو في الأرض، فاطلبه من معلم إبراهيم».

❁❁❁

(فيدارسه القرآن) .. (يتدارسونه بينهم) ..

مدارسة القرآن من أهم أسباب تنمية ملكة التدبر على أصول صحيحة،

وقوتُها العلمية بقوة من تُدارسه، وآثارها العملية بحسب حاله؛ فالقرين يتأثر بالقرين ويقتدي به، فاختر الرفقة التي تعينك على مدارسة القرآن علمًا وعقلًا، وتعينك على العمل به .

وإذا كانت تحت إشراف عالم ومتخصص، فهذا أعظم أثرًا وأدق استنباطًا وتدبرًا .

❁❁❁

إياك أن تفرط بما يسنح لك من معانٍ بديعة بحجة أنك لن تنساها، فكم ندم المفرطون، وفاز الموثِّقون، فقد كان البخاري تمر به الفائدة وهو في فراشه، فيوقد السراج ثم يقيدها، ثم يطفئ السراج، وهكذا حتى إنه يفعل ذلك أحيانًا في الليلة الواحدة قرابة عشرين مرة، وانظر ما فتح الله عليه من علم !!.. ومن تأمل فقهه في تبويب صحيحه أدرك ذلك !!.

❁❁❁

* يقول الوزير العابد العادل ابن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من مكايد الشيطان: تنفيرُه عباد الله من تدبر القرآن؛ لعلمه أنَّ الهدى واقع عند التدبر، فيقول: هذه مخاطرة، حتى يقول الإنسان: أنا لا أتكلم في القرآن تورُّعًا»، وبعضهم يعبر عن ذلك بقوله: «من تعمَّق كفر» ..

ولا شك أن هذه العبارة إن صدقت فإنما تصدق على من يتدبر مبتغيًا معاني باطنيَّة لا يدلُّ عليها لفظ القرآن الكريم من قريب أو بعيد، كحال بعض الفرق الضالَّة وحال بعض الزنادقة ومثل هذا لا يسمى متدبرًا لكتاب الله أصلاً !..

أما من يتدبر القرآن طالبًا الهدى منه فحريٌّ به أن يرشد، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من تدبر القرآن طالبًا للهدى منه تبين له طريق الحق» ..

وهل أُنزل القرآن إلا ليُتدبر فكيف يضل قوم تدبروا ما أرسل الله به رسله إليهم، واتبعوا ظاهر ما جاءهم من ربهم الذي خاطبهم بما يعقلون، وأرشدهم إلى ما يمكنهم، ورجعوا إلى العلماء فيما لا يقدرون عليه ؟!.

كثير من المسلمين حتى بعض الدعاة وطلبة العلم والمربين غافلون عن آثار التدبر في العاجل والآجل، ولم يدركوا أثر التدبر ومنزلته؛ لذا لا تجد منهم الاهتمام والعناية به في دروسهم ومواعظهم وكتبهم وتربيتهم لطلابهم، حتى إنك لتعجب من علماء ودعاة لهم مئات الدروس والمحاضرات، وربما آلاف التغريدات وعشرات المقالات، فلا تجد بضع تغريدات أو مقالات أو دروس في هذا الأمر العظيم !!.

إنّ تحكيم القرآن والسنة الّذي هو من أوجب الواجبات، إنما يجب ابتداءً على الأفراد، وكثير من الناس يتصور بأنّه خاصّ بالدول، فيجب علينا أن نواجه أنفسنا :

هل نحن نُحكّم القرآن في علاقاتنا مع ربّنا سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، مع أنفسنا، مع زوجاتنا، مع أولادنا في بيوتنا ؟!..

أليس يوجد في بيوت بعض المسلمين ما يتعارض مع القرآن والسنة، من قنوات فضائية غير شرعيّة، وما إلى ذلك من وسائل الاتصال غير المنضبط؟!!..

ويجب أن نتساءل عن علاقاتنا مع جيراننا، هل أدينا حقوق الجار ؟..

وفي علاقاتنا الاجتماعية عمومًا، وفي علاقاتنا التجارية ومعاملاتنا ؟..

كلّ هذه الأمور يقع على عاتق الفرد المسلم مهمة إقامة حكم الله عَزَّوَجَلَّ.

إذا طهر قلب المرء وتهيأ لتدبر القرآن انتفع به وظهر أثره على خلقه؛ ولذلك لما سُئلت أم المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا عن خُلُق النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، لم تُلقِ محاضرة، ولا أسهبت وأطنبت، بل قالت بإيجاز: «كان خلقه القرآن !» ..

إذن فخلقك أيّها الأخ الحبيب هو ثمرة لمعايشتك مع القرآن !.

من أعظم آثار التدبر لكلام الله تعالى هو ما سيجده التالي والمتدبر لهذا القرآن من آيات تبين أن العزة والقوة والتمكين لهذا الدين، مهما اشتدت الفتن الأزمات، وتوالت المصائب والكربات، كيف لا يتفاءل من يقرأ قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ ؟!.. [المنافقون: ٨]

وأما انتفاخ الباطل وانتصاره في بعض جولاته، فيدفعه قوله سبحانه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ۝١٨﴾ [الأنبياء: ١٨] ..

والمهم هو العمل الجاد والتفاؤل الإيجابي والإيمان بوعد الله، وهنا لن يضرنا ما يفعله الأعداء ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝١٢٠﴾ [آل عمران: ١٢٠]..

ولو لم يكن للتدبر إلا هذا الأثر من التفاؤل وقوة الإيمان وحسن الظن بالله، لكفى بذلك نجاة في الدنيا والآخرة .

أما المتشائمون والقانطون فسيجدون جزاء ظنهم السيء ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾ [فصلت:٢٣].

لقد بدا واضحًا أن العز الذي كان ينعم فيه سلف هذه الأمة ما هو إلا نتيجة لتمسكهم بالقرآن وتعلقهم به وحياتهم معه وتدبّرهم له؛ وبذا حصل لهم الظفر على الأعداء، وتحولوا من رعاة للأغنام إلى هُداة للناس وقادة للشعوب والأمم، وما دام أن السبب في ذلك هو القرآن الذي بين أيدينا فما علينا إذا أردنا طريق العز والمجد والسؤدد إلا أن نسلك ذلك الطريق؛ لتكون عاقبتنا كعاقبتهم ويحصل لنا ما حصل لهم، وما أوقع الأمة في هذه الهوة العظيمة إلا بعدها عن مصدر عزها وكرامتها، فقد أعزها الله بهذا الكتاب العزيز فلما ابتغت العزة في غيره أذلها الله.

انتقاء من كتاب (تدبر سورة الفاتحة)

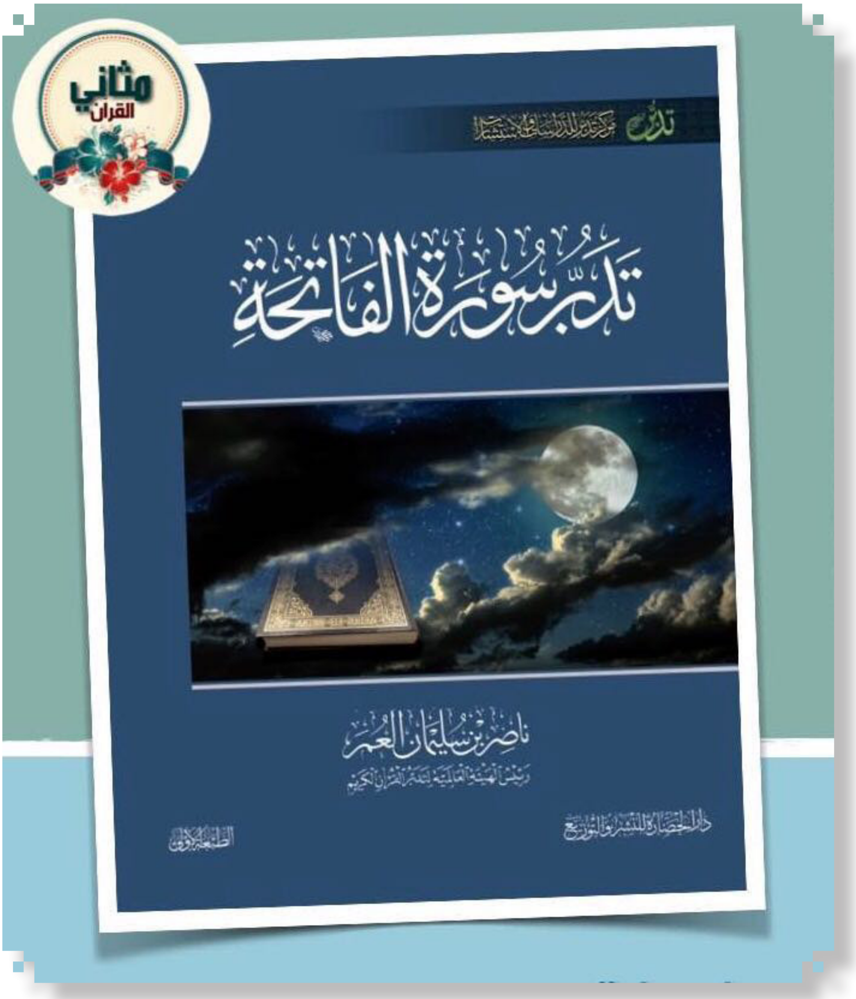

إن سورة الفاتحة هي أعظم سورة خاطب الله عَزَّوَجَلَّ بها الجن والإنس، من لدن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقد ثبت أنها أعظم سورة في القرآن، كما في حديث أبي سعيد بن المعلّى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «إني لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد» ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: ألم تقل: «لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن»؟ قال: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته» أخرجه البخاري في صحيحه.

وإذا كانت الفاتحة بهذه المثابة، فلا غرو أن تُفرض قراءتها في اليوم والليلة ما لا يقل عن سبع عشرة مرة - غالباً - ولا عجب من عناية العلماء بها قديماً وحديثاً، لكن العجب ممن يقرؤها ولا يتدبرها، لا يحضر قلبه، ولا ينظر في معانيها، فضلاً عن أن ينظر في حاله ومكانه منها .

لهذه السورة الكريمة أكثر من عشرين اسمًا، وذلك يدل على شرفها؛ فإن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى ..

تسمى السورة بفاتحة الكتاب، وهو أشهر أسمائها، وتسمى أيضًا

بأم القرآن، وأم الكتاب، وقد ثبتت هذه الأسماء في أحاديث كثيرة، منها : ما رواه عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» أخرجه البخاري ومسلم ..

وتسمى أيضًا بالسبع المثاني؛ لأن عددها سبع آيات، وهي تُثنّى وتُكرر كل ركعة في الصلاة، وتسمى القرآن العظيم؛ لاشتمالها على المعاني التي في القرآن؛ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾

[سورة الحجر: ٨٧] ..

وقد ثبت أيضًا تسميتها بسورة الصلاة ..

ومما ثبت من أسمائها: سورة الحمد ووجه تسميتها بسورة الحمد؛ لافتتاحها به وغلبته عليها.

ولها أسماء وردت في آثار لم تصح سنداً، وإن صح معناها، كالشفاء والشافية، وأسماء اجتهادية لم تستند في التسمية إلى الأثر، وليس فيها ما يرفعها إلى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كتسميتها بالكافية والواقية والوافية، إلا أنها معانٍ صحيحة مستنبطة من الأحاديث.

عدد آياتها سبع آيات بالاتفاق بين جميع القراء والعلماء .

الذي عليه جمهور أهل العلم وأكثر المفسرين أن سورة الفاتحة نزلت بمكة .

فضل سورة الفاتحة:

١) عن أبي سعيد بن المُعلّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أصلّي، فدعاني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم أجبه، قلت: يا رسول الله .. إني كنتُ أصلي، قال: ألم يقل الله: ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ ثم قال: «ألا أُعلّمُكَ أعظمَ سورةٍ في القرآنِ قبلَ أن تخرجَ من المسجدِ» ؟.. فأخذ بيدي فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله .. إنك قلتِ لأعلمنكِ أعظمِ سورةٍ من القرآن، قال: «الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ هي السبعُ المثانِي والقرآنُ العظيمُ الذي أُوتيتُه» أخرجه البخاري ..

٢) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بينما جبريل قاعد عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه، فقال: «هذا بابٌ من السماءِ فُتح اليوم لم يُفتحْ قط إلا اليوم فنزلَ منه ملكٌ .. فقال: هذا ملكٌ

نزلَ إلى الأرضِ لم ينزلْ قط إلا اليوم» فسلّم وقال: «أبشرْ بنورينِ أُوتيتهما لم يُؤتهما نبيٌّ قبلك: فاتحةِ الكتابِ، وخواتيمِ سورةِ البقرةِ، لن تقرأَ بحرفٍ منهُما إلا أُعطيتَهُ» أخرجه مسلم ..

٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال عنها: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ، وَلا فِي الإِنْجِيلِ، وَلا في الزَّبُورِ، وَلا في الفُرقَانِ مِثْلُهَا» أخرجه الترمذي ..

❁❁❁

الفاتحة مشتملة على أنواع مقاصد القرآن، وهي ثلاثة أنواع:

١) الثناء على الله ثناء جامعًا لوصفه بجميع المحامد، وتنزيهه عن جميع النقائص، فقوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ حمد وثناء.

٢) الأوامر والنواهي فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ من نوع الأوامر والنواهي.

٣) الوعد والوعيد فقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ﴾ إلى آخرها من نوع الوعد والوعيد .

❁❁❁

بدأ القرآن الكريم رسم منهج الوسطية من بدايته في أم الكتاب، حيث أنها من أولها إلى آخرها تقرر هذه الحقيقة وتؤكدها ..

وأبرز آية في الفاتحة ناطقة بذلك، هي قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ فهذه الآية وما بعدها صريحة في تحديد المنهج الوسط، ذلك أنه بين أن هذا الصراط هو صراط الذين أنعم الله عليهم وأنه هو منهج الوسط، حيث قال واصفاً الصراط المستقيم: ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾ فمنهج المغضوب عليهم (وهم اليهود) يمثل التفريط، بينما منهج الضالين (وهم النصارى) الإفراط، فهما منهجان دائران بين الغلو والجفاء.

فسورة الفاتحة وضعت القاعدة والمنطلق، ورسمت المنهج وحددت معالمه، ثم جاءت الآيات بعد ذلك مقررة لذلك وداعية إليه.

❁❁❁

سورة الفاتحة شافية لأمراض القلوب والأبدان، وحاجة القلوب إليها آكد؛ لأن أمراض القلوب أشد من أمراض الأبدان، فإذا صلح القلب صلح البدن كله.

❁❁❁

تختص سورة الفاتحة بأنها سورة المناجاة، حيث يقرؤها المسلم في كل ركعة من صلاته، وهي أعظم سورة القرآن، ولم يُنزل الله تعالى مثلها في كتابه، لذلك يجب العناية بها .. فقد سمى الله تعالى الفاتحة بالصلاة فيما يرويه نبيه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه، والصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر هي تلك الصلاة التي يؤديها المسلم بحضور قلب ..

وتدبر سورة الفاتحة واستحضار معانيها على سبيل الإجمال واجب على كل مسلم، وتدبرها يوصل لمرتبة الإحسان، حيث إن أول طريق لإحسان العبادة هو أن يجمع المرء قلبه حال قراءة الفاتحة، فيستشعر وقوفه بين يدي الله تعالى ومناجاته له ..

تُظهر سورة الفاتحة سبقَ رحمةِ الله تعالى لغضبه، فقد ذكر سبحانه رحمته في اسمي ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في البسملة، ثم كررهما في بداية السورة قبل أن يذكر المغضوب عليهم، وجاءت السنة بذلك، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لما قضى الله الخلق، كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي».

تحوي سورة الفاتحة أركان التعبد القلبية التي لا تستقيم العبادة إلا بها، وهي: المحبة والخوف والرجاء ..

فالمحبة في قوله: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ .. والرجاء في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ .. والخوف في قوله: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾.

واشتملت السورة على شرطي قبول العبادة، ففي قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ شرط الإخلاص، نخصك وحدك بالعبادة، ولا نصرف شيئا من العبادة لأحد غيرك.

وفي قوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ شرط المتابعة؛ لأن الله تعالى لا يقبل العمل إلا إذا كان على الصراط المستقيم الذي دعا إليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وهو صراط الذين أنعم الله عليهم وأولهم النبيون وفي مقدمتهم نبيها عليه وعليهم الصلاة والتسليم.

ذكر الله في هذه السورة ستة من أسمائه الحسنى وهي:

الله – الرب – الرحمن – الرحيم – ومَلِكُ يوم الدين – ومالك يوم الدين كما في القراءة الأخرى وكلتاهما سبعية ..

في السورة بيان أهمية الدعاء وشدة حاجة المسلم إليه؛ لافتقاره إلى ربه، فلا يقوم إلا به؛ ولذلك افتتح الله تعالى كتابه في أول سورة منه بالدعاء، كما ختم به آخر سورة.

ففي سورة الفاتحة الجزم في الدعاء والعزم فيه، وذلك بطلب الهداية ورجائها من الله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾.

❁❁❁

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾ يُستفاد من صيغة الجمع دعاء المسلم لنفسه ولغيره، ثم يُؤمّن على الدُّعاء، وإذا دعا المسلم لأخيه وكل الله تعالى ملكًا يقول له: ولك بمثل .. كما في صحيح مسلم.

❁❁❁

اختلفَ العلماءُ في البسملة: هل هيَ آيةٌ من الفاتحة أو لا؟..

والرَّاجح -وهو قول الجمهور- أَنَّها ليست آيةً منها، ولا في افتتاح أيِّ سورةٍ من القرآن، وإنَّما هي جزءٌ من آيةِ سُورة النَّمل بالاتِّفاق، بدلالة حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ...» الحديث أخرجه مسلم .. فسُورة الفاتحةِ مُناصفةٌ بين العبد وربِّه، وإذا حَسَبْتَ السَّبعَ الآياتِ دون

البَسملة؛ وجدتَّ منتصفَها قولَه تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ وهي الآيةُ الَّتي قالَ اللهُ فيها: هذا بيني وبينَ عبدي .. وهي الَّتي تقسم السُّورة نصفين بينَ العبدِ والرَّبِّ.

❁❁❁

كل من استقرَّت في نفسه سعةُ رحمةِ الله؛ لا يمكن أن يَدِبَّ إليه اليأسُ ولو مثقالَ ذرَّة، فهو متفائلٌ في سرَّائه وضرَّائه، يُحسن الظَّنَّ بربِّه في السَّعة والضِّيق .. فاختيارُ هذينِ الاسمين ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في استفتاح القرآن الكريم يدعو لاطمئنان القلب، ففيهما الجمالُ والتَّهدئة والسَّكينة .. وفيهما إشارة إلى ندب الخلق إلى التحلي بصفة الرحمة كما في الحديث: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» أخرجه الحاكم.

❁❁❁

بين الحمد والشُّكر عمومٌ وخصوص، فالحمدُ أخصُّ من الشُّكر؛ لأنَّه لا يكونُ إلا باللِّسان، وأمَّا من حيثُ ما يقع عليه: فالشُّكر أخصُّ؛ لأنَّه لا يكون إلا على النِّعمة ..

ومن استحضرَ معاني الحمد خرج الحمدُ من قلبه قبلَ لسانه، فأصبح

صاحبَ قلبٍ شاكر، ولسانٍ شاكر، وجوارحَ شاكرة، والتَّوفيق لهذا نوعُ اصطفاء؛ إذْ إن الشَّاكرين قلّة .

❁❁❁

أعظمُ ما يَستدرُّ به العبدُ رحمةَ ربِّه: أن ينكسرَ بين يديه، وأن يُظهرَ عبوديته له وذلَّه وعجزه، وفقرَه لرحمته وهو محسنُ الظَّنَّ به .

❁❁❁

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ خُصَّ يومُ الدِّين بإضافة الملك إليه؛ لخطورته وعِظَمه، ولأنَّه ختامُ الأيام وثمرتها، ولأنَّه يظهرُ فيه ملك الله كاملًا؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ ..

فأضاف تعالى مُلكه ليوم الدِّين فحسبُ مع أنَّه مالكُ يوم الدِّين والدُّنيا؛ لأنَّه في الدُّنيا قد يوجدُ من يملكُ شيئًا منها - مع كونه خاضعًا لملك الله - أمَّا يومُ القيامة فلا مالِكَ ولا ملِكَ إلا الله عَزَّوَجَلَّ، قال عزَّ من قائل: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾، فهو الذي يملكُ هذا اليوم وحده، ويتصرَّف فيه كما يشاء، الكلُّ مذعنون لعظمته، وخاضعون لعزَّته، منتظرون لمجازاته، راجون ثوابه، خائفون من عقابه. قال

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟» أخرجه البخاري ومسلم.

❁❁❁

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ هذهِ الآيةُ العظيمةُ هي الآيةُ الوُسطى في الفاتحة، وهي الَّتي بينَ العبدِ وربِّهِ، كما جاء في الحديثِ القُدُسيِّ: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ... فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ قَالَ اللهُ: هَذِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» وقد سمَّاها بعضُ العلماءِ «سرَّ القرآن»، فإليها يرجعُ فعلُ الإنسان وهو التَّعبُّد، وصنَّف فيها العلماءُ الكتبَ والمؤلفاتِ.

وقد تضمَّنَتِ هذه الآيةُ أنفعَ الدُّعاءِ؛ قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تأمَّلتُ أنفعَ الدُّعاءِ، فإذا هو سُؤالُ العَون على مَرضَاتِه، ثمَّ رأيتُه في الفاتحة، في: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾».

❁❁❁

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ قدّمَ المعمولَ على العاملِ، فلم يقل: «نعبُدُك ونستعينُك»؛ لأنَّ التَّقديمَ يدُلُّ على الحصر، والمعنى: نخصُّكَ وحدَكَ بالطَّاعةِ، ولا نصرفُ شيئًا من العبادة لأحدٍ غيرِك، وهذا

يُفيد وجوبَ إخلاصِ العبادةِ لله تعالى، وأنَّها لا تَصِحُّ إلا بذلك .

وفي تقديمِ المعبودِ والمستعانِ على الفِعلَين، الأدبُ مع اللهِ، بتقديم اسمِه على فعلِهم، والاهتمامُ وشدَّةُ العنايةِ به .

وفي قولُه: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ علاجٌ للرِّياء؛ لأنَّ فيه تذكيرًا بمقام الإخلاص .. وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ علاجٌ للكِبْر؛ لأنَّ فيه تذكيرًا بحاجة العبدِ لربِّهِ وافتقارِه إليه .

الدِّينُ نِصفَانِ:

* نصفُه عبادةٌ، وهي الغايةُ والمقصودُ من خلق النَّاس ..

* ونصفُه توكُّلٌ واستعانةٌ ..

وما الحياةُ إلا عبادةٌ واستِعانة، بل إنَّ كلَّ ما يُواجهُه العبدُ في حياته، إمَّا يدعوه لخضوعٍ واستكانةٍ، وإمَّا يدعوه لسؤالٍ واستعانةٍ، وقد جمعتِ الآيةُ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ بينَ العبادةِ والاستعانة؛ فإنَّ العبادةَ لا تحصُلُ إلا بعونِ الله .. فمن قدَّم حقَّ اللهِ بالعبادة؛ أعطاهُ اللهُ حقَّهُ بالمعونة، ويسَّرهُ لليُسرى .

من أخطرِ ما ابتُلِيَت به الأُمَّةُ المسْلمَةُ، ذلكَ الفصلُ بين العقيدةِ والعبادة، وكذلك الفصلُ بينَ العبادةِ وآثارِهَا التَّربَويَّةِ والاجتِماعيَّة، حيثُ تحوَّلَتِ العبادةُ عندَ كثيرين إلى مجرَّدِ عادة، دونَ تحقُّقٍ بالمضامينِ التَّربويَّة والاجتماعيَّةِ للعِبَادَات، ولاسيَّما القلبيَّة منها.

۞۞۞

في قولِه: ﴿ ٱهۡدِنَا ﴾ في فاتحَةِ الكتابِ دليلٌ على أنَّ كِتَابَ اللهِ تعالى كتابُ هِدَايةٍ؛ فَمَنْ طَلب الهُدَى به هداهُ اللهُ تعالى.

والهِدَايةُ هدايتانِ:

* هِدَايَةُ التَّوفِيقِ والإلهامِ..

* وهِدَايةُ الدِّلالة والإرشاد..

وهُنا يَسأل العبدُ مولاه كِلتا الهِدَايتَيْنِ، حتَّى يكونَ مِمَّن وُفِّقَ إلى الفَوز بالجنَّة.

وقيامُ العبدِ بِهدَايَة الدِّلالةِ والإرشادِ من أفضلِ الأعمال، فهيَ وظيفةُ الأنبياء، وهي سببٌ لنيلِ هدايةِ اللهِ تعالى؛ لأنَّ الجزاءَ من جنسِ العَمَلِ، وأمَّا هِدَايةُ التَّوفِيق فهيَ للهِ وحدَه: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

فرضُ سؤال الهِدَاية في اليَوم واللَّيلة بِضعَ عشرةَ مرَّةً في الصَّلَوَات، يدلُّ على أهمِّيَّة سؤال العبدِ رَبَّهُ الهدَايَةَ، وأنْ يَلتَجِئَ لرَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ ويُمَرِّغَ وجهَهُ ساجدًا، لعلَّه أن يَقْبَلَهُ فيمَن قَبل، ويَهدِيَهُ فيمَن هَدَى .

❁❁❁

وَحَّدَ الصِّرَاط لأنَّه واحد؛ فذكرهُ مُفردًا مُعرَّفًا تعريفين، تَعرِيفًا باللام: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ وتَعْرِيفًا بالإضَافة في الآية التَّالية: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ وذلك يُفيدُ تعيينَهُ واختصَاصَهُ وأنَّه صِراطٌ واحد ..

وأمَّا طُرق أهلِ الغَضَب والضَّلالِ، فإنَّه سبحانه يجمعُها؛ كقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فوحَّدَ لفظ الصِّرَاطِ وسبيلَه؛ وجمعَ السُّبُلَ المخالفة له.

❁❁❁

كما أنَّ في الدُّنيا صِرَاطًا يُطلبُ من العباد السَّيرُ عليه، فإنَّ غايةَ هذا الصِّراط المعنويِّ صراطٌ حِسِّيٌّ يُنصب على مَتن جهنَّم يومَ القيامة، ويسيرُ النَّاسُ عليه، فمن سَلك الصِّراطَ في الدُّنيا وثبت عليه ثبَّته اللهُ تعالى على الصِّراط في الآخرة حتى يصلَ إلى الجنَّة؛ لأنَّ الجزاءَ من جنس العمل .

❁❁❁

خُتمَتِ الفاتحةُ بتقسيم النَّاس إلى ثلاثةِ أصناف:

مُنعَمٌ عليهم .. ومغضوبٌ عليهم .. وضالُّون ..

وهذا التَّقسيمُ على أساس العِلْم والعَمَل ..

فالمنعَمُ عليهِم: هُم مَن أُنعِمَ عليهم بنِعمَة الإيمانِ والهِدَايَة، والتَّوفِيق والاستِقَامة على الدِّينِ والعملِ به؛ فهم عَلِمُوا، وعَمِلُوا بما عَلِمُوا، ومِن ثَمَّ دعَوُا النَّاس إلى مَا تَعَلَّمُوا، فهؤلاء مُنعَمٌ عليهم بالعِلم، ومُنعَمٌ عليهم بالعمل، ومُنعَمٌ عليهم بالدَّعوة إلى دين الله ..

أمَّا المغضوبُ عليهم، فهم مَن عَلِمُوا الحقَّ ولم يعملوا به وجحدوه، فَغَضِبَ اللهُ عليهم، وهم اليهودُ، ومَن سارَ على منهاجهم وطريقتهم ..

وأمَّا الضَّالُّون فهم الَّذين لا عِلمَ عندهم، يَعمَلُون بلا عِلم، يَعبُدُون اللهَ على جَهلٍ، وهم النَّصَارى، ومَن سارَ على شَاكِلَتِهِم.

❁❁❁

الَّذين أنعمَ اللهُ عليهِم همُ الأنبياءُ والرُّسُل -صلواتُ الله وسلامُه عليهم- بدءًا بآدمَ وانتهاءً بمحمَّدٍ، وأتباعِهِم: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: ٦٩] وكفى بها نِعمةً أن

يكونَ المرءُ في صُحبة هذا الرَّكب المبارك ..

فمَنْ مَنَّ اللهُ تعالى عليهِ بسُلوك الصِّراطِ المستقِيم فلا يستوحشْ ولو كان وحدَه؛ لأنَّه في طريقِ المنعَمِ عليهم، وقد نبَّهَ اللهُ سبحانه على الرَّفيقِ في هذه الطَّريق، وأنَّهم الَّذين أنعم اللهُ عليهم؛ ليَعْلَمَ الطَّالبُ للهداية وسلوك الصِّراط أنَّ رفيقه فيه أولئك النَّاسُ؛ فلا يكترِثْ بمخالفة النَّاكبين عنه .

﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ قدَّمَ اللهُ تعالى الغضبَ على الضَّلال، مع أنَّ الغضبَ نتيجةٌ للضَّلال؛ لمجاوَرَته للإنعام؛ لأنَّ الإنعامَ يُقابَل بالانتقامِ فناسبَ تقديمَهُ. وقدَّم المغضوبَ عليهِم على الضَّالِّين؛ لتقدُّم زمنهم على زمن الضَّالِّين، ولأنَّ أمرهم أخطرُ وذنبهم أكبر؛ فإنَّ الإنسانَ إذا كان ضلالُهُ بسبب الجهل، فإنَّه يرتفعُ بالعلم، وأمَّا إذا كان هذا الضَّلال بسبب الهوى، فإنَّه لا يكادُ يَنزِع عن ضلالِه، ولهذا جاء الوعيدُ الشَّديد في شأن مَن لا يعملُ بعِلْمِه .

ففي الآيةِ تحذيرُ علماءِ المسلمينَ وعُبَّادِهِم من التَّشَبُّهِ باليهود والنَّصارى في اتِّباع الهوى والجهل، حتى لا يُلاقُوا جزاءَهم، قال سُفيانُ بنُ عُيَيْنَة: «مَنْ فَسَدَ مِن عُلَمائنا كانَ فيهِ شَبَهٌ من اليهود، ومن فَسَدَ من عُبَّادِنا كانَ فيهِ شَبَهٌ من النَّصَارى» .

مَعنى «آمِينَ» عندَ أكثرِ أهلِ العِلمِ: اللَّهُمَّ استجبْ لنا .. وعن ابنِ عبَّاس: رَبِّ افعَلْ، وقَالَ التِّرمِذِيُّ: «لَا تُخَيِّبْ رَجَاءَنَا» .. وَهِيَ مُتَقارِبة ..

ومِنْ فَضَائِلِها قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فَقُولُوا: آمِينَ، فَمَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» أخرجه البخاري ومسلم ..

وقوله: «وَإِذْا قَالَ - أي: الإمام -: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فَقُولُوا: آمِينَ، يُجِبْكُمُ اللهُ» أخرجه مسلم .

والتَّأمِينُ مِمَّا تحسُدُنَا عليهِ يهودُ، قالَ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ» أخرجه ابن ماجه وصححه الألباني .

انتقاء من كتاب (تدبر سورة يوسف)

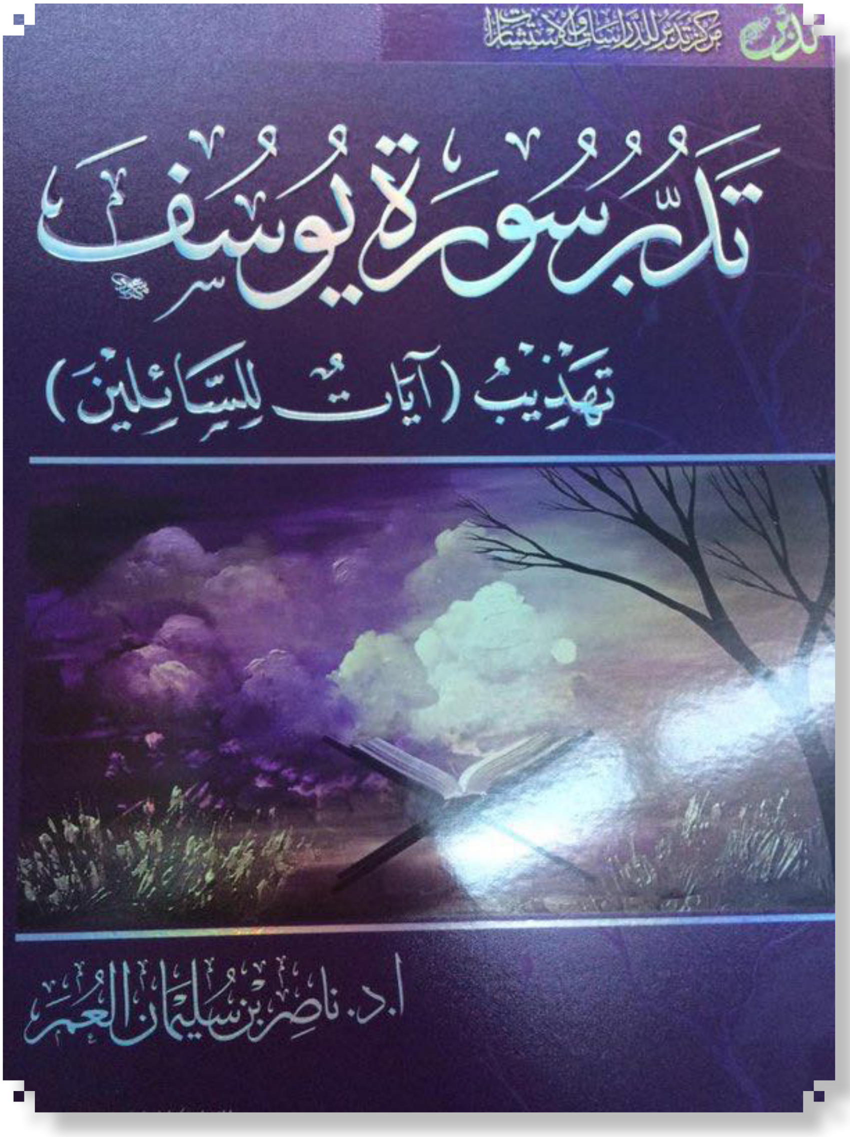

في سورة يوسف تلازم شديد بين الشدة والفرج من أول السورة إلى آخرها، ونحن بمسيس الحاجة إلى بث الأمل في الأمة، ففي السورة دعوة للتفاؤل وحسن الظن بالله تعالى، والناس بحاجة إلى من يبث تلك الروح في نفوسٍ كَسَرَ بعضَها واقعُ كثير من المسلمين ..

كما أن فيها معالجة لثالوث خطير، كل واحد من أقطابه مهلَكة، وقد منعت السورة بمجموعها من دخولها وهي: التنازل .. والاستعجال .. واليأس .

❁❁❁

تحتوي سورة يوسف على قواعد وأصول في السياسة الشرعية، التي نفتقر إليها كثيراً في هذا العصر :

في الشورى .. في التخطيط .. في بُعد النظر .. في التعامل مع الكافر .. في العدل الذي هو أساس قيام الدول .. وغير ذلك .

❁❁❁

وقت نزولها: نزلت بعد سورة هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقد نزلت في فترة حرجة من تاريخ الدعوة في العهد المكي، بين عام الحزن وبيعة العقبة الأولى، حيث اشتد أذى قريش في هذه المدة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وأصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، حتى إن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أذن لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة، فنزلت هذه السورة تسلية للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ولصحابته، وتبشيراً لهم بالفرج بعد الشدة، وبالتمكين بعد التضييق، كما حدث ليوسف عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ.

كان عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ يقرأ بسورة يوسف في الفجر ..

وفي حديث عبدالله بن شداد بن الهاد قال: سمعت نشيج عمر بن الخطاب في صلاة الصبح وهو يقرأ من سورة يوسف وأنا في آخر الصفوف، يقرأ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ...﴾ وتخصيصه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ لها في أطول الصلوات قراءةً، مُشعِرٌ بمزيد مزية لها عنده .

الموازنة بين العاطفة والعقل أمر مهم؛ فأمة بلا عاطفة أمة جامدة، لا تعرف قيم الحياة؛ ولكن الانسياق وراء العاطفة وحدها خطأ كبير جداً، بل لا بد من توافق وتنسيق بين العاطفة والعقل والشرع، ويكون ذلك بإرجاع العاطفة إلى العقل وإرجاع العقل إلى الشرع .

فمتى ما ضبط المرء عقله بلجام الشرع، صار العقل عقلاً شرعيًا محموداً، يتجاوز حدود الدنيا القاصرة؛ لينطلق بصاحبه نحو الجنان ..

وأهم ما ينمّي العقل :

العلم - التجارب - الشورى - السن .

لماذا كانت قصة يوسف من أحسن القصص؟..

كونها من جملة قصص القرآن في سورة كسائر سور القرآن، لها تأثير في حياة الأمم؛ فمن عمل بما فيها من مقومات الفوز والنجاح فاز وسعد، وآل أمره إلى خير .

كما أن قصة يوسف وقصص القرآن جميعها تقتصر على مواطن العبر والعظات دون تعرض لفضول الأحداث، فذكر اللباب وترك الفضول من سمات كلام الله تعالى.

نستطيع أن نقول: إن سورة يوسف هي سورة الرؤى، فقد ورد في القرآن ذكر سبع رؤى في ستة مواضع :

ثلاثة مواضع اشتملت على أربعة رؤى جاءت في سورة يوسف، وهي:

قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ...﴾ [يوسف: ٤].

ثم الموضع الثاني وفيه رؤيتا صاحبي السجن.

ثم جاءت الرؤيا الرابعة في الموضع الثالث من السورة، وهي رؤيا الملك وتلك رؤية عظيمة جداً.

وفي بقية القرآن نجد في سورة الأنفال ذكر الرؤيا في قول الله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [لأنفال: ٤٣].

ثم في الصافات في قصة إبراهيم مع إسماعيل عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

والموضع السادس والأخير جاءت فيه الرؤيا السابعة، وهي رؤيا النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ التي أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عنها في سورة الفتح، فقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧].

فهذه سبعة رؤى في القرآن .. وقد يتساءل متسائل فيقول:

أين رؤيا سورة الإسراء التي قال الله جَلَّ وَعَلَا فيها: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

والجواب: إن هذه الرؤيا رؤيا عين، وليست رؤية منامية على الصحيح، وكذلك فسرها ابن عباس رضي الله تعالى عنه كما في البخاري.

الرؤيا ليست من مصادر التشريع أو التلقي فلا تُستحدث بها بدع، ولا تُشرّع بها أحكام؛ لأن الدين قد كمل، يقول تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]

ولا تُعرض الرؤى إلا على من يحب، وكذلك أهل التقى والصلاح والرأي الذين يلتمس عندهم تأويلها، دون غير هؤلاء ممن لا يُعلم ما يكنون له، فضلاً عن الدجالين والمشعوذين الذين يستعينون بالشياطين في التأويل .

المنهج في التعامل مع الرؤى :

الرؤى ثلاثة أنواع :

١) رؤيا صالحة.

٢) رؤيا من حديث النفس.

٣) رؤيا من الشيطان .

وقد أخبرنا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التعامل مع كل واحدة منها، فالرؤيا الصالحة بشرى، وحديث النفس يُعرض عنها الإنسان، وهذا هو الأكثر بين الناس، أما رؤيا الشيطان وهي تُحزن المؤمن ويقوم وهو مثقل، فيستعيذ بالله من شرها وشر الشيطان ويبصق عن يساره ثلاثـًا، وينقلب على جنبه الآخر ويقوم يصلي.

❁❁❁

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾ إن النمط الجبري في التربية: افعل "وبس" !!.. لم يكن يعرفه أعظم المربين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ها هو ذا يوجه ابن عباس بكلمات تلحظ الشبه بينها وبين كلمات يعقوب عَلَيْهِمَا السَّلَامُ هذه .. فيقول: «يا غلام، إني أعلمك كلمات ...»، وينهى الآخر الذي طاشت يده في الصحفة بأسلوب أكثر بلاغة وإبداعـًا، فيقول: «يا غلام!.. سمِّ الله وكُل بيمينك، وكُل مما يليك» ..

فيا لله أي معلم هذا ؟!..

فلا غرو أن يقول ذلك الغلام بعد أن غدا شيخـًا: «فما زالت تلك طعمتي بعد» .

فنجد في قوله: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ﴾ حسن توجيه يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ .. حيث جمع بين النهي والتعليل والتوجيه وهذا غاية التربية مع الابن فليس أمراً ونهيـًا فقط ..

كذلك حادثة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مع الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عندما أخذ منه تمرة الصدقة قال له: «كخ .. كخ ..» لم يكتفِ بالنهي فقط، بل زاد «أما علمت أنّا لا نأخذ الصدقة» كأنه يخاطب رجلاً .

التوجيه بنداء يدعو للقبول: استرعى يعقوب سمع ابنه يوسف عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ بعبارة حانية محببة يقول فيها ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ وقرأها شعبة رحمه الله (يا بُني) بالترخيم الذي يزيد من حنوها ويضاعف وقعها في نفس الابن ..

وفرق بين أن تجذب انتباه من تريد توجيهه بعبارة تلفت انتباهه نحو ما تقول فيلتفت إليك بوجهه وعقله، وبين أن تجذب انتباهه بعبارة زاجرة تجعل جل همه التفكير فيما يخلصه من الصراخ أو الزجر أو التوبيخ،

فيترك ما نُهي عنه للحظة، ثم يعود بعد مدة؛ لأنه ما تنبه إلى الحِكَم والأسباب، وإنما كان همه التخلص من العبارة المرعدة المرعبة :

يا ولد ! أو يا ... !!..

❁❁❁

في هذا الأسلوب ﴿يَـٰبُنَيَّ﴾ تلحظ أمرين :

١) التصغير الدال على الشفقة والعناية وربما التعظيم، فالنداء ﴿يَـٰبُنَيَّ﴾ مشعر بنوع شفقة وحرص أبوي يناسب مقام النهي والتحذير، والسامع للعبارة يستشف منها معنى: أنت مني، ولذا أشفق عليك فلا تفعل.

٢) نسبته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الابن إلى نفسه، وفي ذلك تنبيه الابن إلى معاني الأبوة في الكلام المقبل على تلقيه، فهو يعلم أن ما سيأتي بعدها أمر أبوي نابع عن قلب أب يفيض حبـًا لخير أبنائه، فلذات أكباده، ويكره كل ما يسؤوهم، وطاعة مثل هذا الأمر أقرب من عصيانه .

❁❁❁

منهج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إكرام الأطفال وتقديرهم :

كثير من الناس يظنون أن الأطفال لا يفهمون فيعاملونهم بناء على هذا

الظن الآثم، مع أنهم يعلمون من حوادث واقعهم أن الواحد منهم قد يصف حدثًا وقع وهو ابن ثلاث سنين بتفاصيله، بينما إذا كبر فربما عجز عن تذكر ما حدث له بالأمس ..

وقد كان نبينا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكرِم الأطفال ويقدّر إمكاناتهم، فكان يكني بعضهم، ويؤاكل بعضهم، ويُسلّم إن مرّ عليهم، ويواسي بعضهم لما مات عصفوره، ويردف بعضهم، بل يستأذن أحد الغلمان وكان يجلس عن يمينه في سقيا الأشياخ ..

الشاهد أننا نخطئ في تقييمنا للأطفال، فلا نعاملهم معاملة تناسب عقولهم، بل يُشعرهم البعض بأنهم لا وزن لهم، فتكون النتيجة تخريج نوعين من الشباب :

- شباب يعاني من هزيمة نفسية، يستصغر نفسه ويقلل من شأنها ويُقيّد نفسه بحبال وهمية نسجها المجتمع من حوله ..

- وشباب آخر متهور يحاول أن يتفلت من كل قيد ليثبت أنه رجل ولو بكل سبيل منحرف !..

صلاح الأسرة ليس داعيًا للتساهل في مداخل الشيطان بين الإخوان

.. فيوسف من أهل بيت آتاه الله الحكمة وعُرف صغاره وكباره بتأويل الرؤى، ولهذا قال يعقوب: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ فكأنه علم علمهم بتأويلها فربما نزعهم الشيطان إلى الكيد فأمره بعدم قصها عليهم، وإذا كان بيتٌ بتلك المثابة قد ينزع بين ذويه الشيطان، وقد يقع فيه من الحسد، فحري بنا أن نراعي أموراً ربما كانت أجل شأنًا من الرؤى بين الأبناء وإن كانوا أهل حكمة وصلاح حتى لا يجد الشيطان مدخلاً .

❁❁❁

من فوائد يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ التربوية حرصه على تربية ابنه على رد الفضل لأهله، فقال له: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾ فالله هو الذي اجتباه، وهو الذي اصطفاه، وتلك نعمة من أعظم النعم تدفع حلاوتها كل سوء جاء به ابتلاء .

❁❁❁

من الفوائد التربوية: قول يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لابنه بعد أن بين له فضل الله عليه باصطفائه له، وتعليمه تأويل الأحاديث، وإتمام نعمته عليه:

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾

وفي هذا تعريف له ببعض أسماء الله تعالى وصفاته، وعندما تستقر هذه المعاني في نفس الصغير، فإنه سيتذكر عند كل ابتلاء أن الله تعالى الذي أحبه فاصطفاه هو الأعلم والأحكم، وأن ما يمسه من بلاء إنما هو بعلمه وحكمته تعالى، فتطمئن نفسه ولا يلتجئ لغير العليم الحكيم .

وإذا تأملت قول يعقوب هذا وقارنته بقول يوسف في آخر القصة: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٠٠﴾ بدا لك عظيم أثر صفات ذي الجلال والإكرام في نفس يوسف، لا سيما تلك التي غرسها الأب في نفس ابنه، فانظر كيف عملت فيه يوم علمها فتعامل مع الحوادث العظام بمقتضى علمه بها .

❁❁❁

من الفوائد التربوية: تنشئة الأولاد على أن إساءة أحدهم قد لا تضره وحده، بل قد تتعداه إلى بقية جسد الأسرة، كما أن إحسانه كذلك ..

فمن نزلت به النعمة تعدى أثرها لآله وذويه، وكذلك من حلت به النقمة؛ ولهذا قال : ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ .

وقد تمت النعمة ليوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فتعدى أثرها آل يعقوب جميعـًا،

كما أن البلاء الذي نزل به تعدى أثره لذويه، وهذا التوجيه يُشعر الطفل بالمسؤولية ويُنشّئه على تحملها .

مسألة مهمة :

إذا أحب أحد ابنًا له حبًا خاصًا، فعليه أن يُركز على أن سبب الحب هو الصفة التي تحلى بها هذا الابن لا شخصه؛ حتى يتنافس الأبناء في تحقيق هذه الصفة، كأن يكون باراً بوالديه، أو فيه صلاح أو تفوق أو غير ذلك، ومثل هذا الكلام يمكن أن يقال كذلك عند تعدد الزوجات، مع الحرص على العدل لوجوبه .

ولكن على الآباء مراعاة مشاعرهم فلا يُظهروا حبًا جمًا زائداً لأحد الأبناء دون البقية، فإن الإخلال بذلك ولو عن غير قصد ربما ولّد إحنًا ونجمت عنه عداوات، والصغار يلحظون من ذلك ما لا يلحظه الكبار، فلا تعزب عنهم البسمة، ولا تغيب النظرة، ولا يُغفلون الكلمة، فضلاً عن المداعبة والقبلة .

تأمل تلك الكلمة العظيمة من يعقوب لأبنائه : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ ...

فلم تستغرقه اللحظة الحاضرة .. لم يشتمهم، أو يضربهم، أو يطردهم، بل صبر عليهم، واستعان بالله تعالى في معالجة الموقف وحل المشكلة، وهو نعم المعين ..

وهذا الموقف يجب أن يستحضره الآباء الذين يستعجلون في تشديد العقوبة على أبنائهم وطردهم لوقوعهم في خطأ ما، فيتلقفهم أصحاب السوء، والنتيجة: (انحراف الأبناء ووقوعهم في جرائم) ربما ما كانت لتخطر على بال أحدهم لو بقي في بيت أبيه، يحوطه برعايته، ويسدده بتوجيهه !!.

❁❁❁

أهمية الثقة بالله وحسن الظن به ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾

وهذا هو سر المسألة، أفلا يثق بالتيسير والتفريج، أفلا يثق بالتمكين والتأييد من كان هواه تبعًا لمراد الله الغالب على أمره، اللطيف بعباده، الناصر لأوليائه ؟!.. إننا بحاجة لاستحضار هذه المعاني؛ لنطرد اليأس والتشاؤم من القلوب بعدما تكاثرت جراحات الأمة .

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ...﴾

تأمل في سمو أسلوب القرآن !!..

مع أن الآية تتعلق بقصة حب أعمى، وشهوة جامحة، إلا أنك تجد العفة أثناء التصوير الدقيق وتلمس الأدب النظيف الذي يسمو عن السفاسف ويترفع عن الأدناس، فلا ألفاظ تخدش الحياء، ولا كلمات تُذهب الحشمة ..

فما بال أقوام ينتسبون إلى الأدب لا يجدون سبيلاً لإظهار البراعة إلا بقلة الأدب ؟!!!.

***

خطر الخلوة والاختلاط بالنساء :

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَ...﴾

من وسائل العفة التي تزرعها هذه الآيات في النفوس:

تعظيم خطر الخلوة بالنساء الأجنبيات ..

فانظر إلى أي مدى بلغ الحد بامرأة العزيز ؟!..

والإسلام حرّم الخلوة وشدد في ذلك؛ ليُغلق منافذ الشر، فإن العبد وإن كان خيِّراً لا يُحدّث نفسه بالحرام، عليه ألا يحوم حول الحمى؛ مخافة أن يرتع فيه، وألا يخالط الريبة مخافة أن يجسُر ..

وقد تساهل الناس في هذا الزمان في الخلوة بالأقارب، مع أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالغ في التحذير من الخلوة بهم فقال: «إياكم والدخول على النساء» فقال رجل: أفرأيت الحمو؟.. قال: «الحمو الموت» ..

والأدهى من ذلك خلوة الخدم والسائقين بالأبناء والبنات، فالبعض يتعامل معهم كما لو كانوا آلات، لا عقول لهم ولا رغبات ولا نزوات، والنتيجة ما نسمعه من رجال المؤسسات الاجتماعية والهيئات !!.

﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾

الإخلاص والتوحيد من أعظم أسباب العصمة من الفتن، والنجاة من الشهوات والشبهات، وتحقيقه كافل العفة، ضامن السلامة والعصمة، ومن كمال تحقيقه حفظ أوامر الله ونواهيه .

الفاحشة إذا فشا أمرها سقط الحياء من إتيانها، وسهلت مقارفتها، بل ربما أصبحت مخالفتها منكراً في العرف يترتب عليه السجن والعقاب؛ ولهذا جاءت تشريعات الإسلام مراعية هذا المعنى، حريصة على كبت قالة السوء ومنع فشو الرذيلة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور: ١٩] قال البخاري: تشيع: تظهر.

❁❁❁

الابتلاء سنة الله في عباده .. يقول تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ... ﴾

وهذا السجن من الابتلاء الذي هو سنة الله في عباده الصالحين، وفي الحديث: «أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل» فلا تنقم إن نزلت بك نازلة في الله، واصبر لحكم مولاك، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، فاحمد الله على أن جعل سببه خيراً، واعلم أنه تجب عليك في تلك الحال عبادة من نوع آخر، فاشغل نفسك بها، وبعد التمحيص تكون العاقبة للتقوى ..

واعلم أيضـاً أن اختيار الله للعبد خير من اختياره لنفسه.

❁❁❁

يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كان داعيةً إلى الله بأخلاقه قبل أن يكون داعيةً بكلامه؛ ولهذا علل السجينان اختياره من بين السجناء ليقصا عليه رؤياهما بقولهما:

﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾ ...

والناس يحبون المحسنين، كما أن رب الناس جَلَّ وَعَلَا يحب المحسنين، وكأن الآية تشير بفحواها إلى أن من أسباب تلك الموهبة الربانية - أعني تأويل الرؤى - الإحسان .

فالإحسان سببٌ لفتح أبواب الخير للعبد ..

وقد وُصِف يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في هذه السورة بالإحسان خمس مرات .. ولم يجتمع هذا الوصف لأي نبي في سورة واحدة من القرآن إلا ليوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ .

❁ ❁ ❁

﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ...﴾ فعادة الأنبياء تعظيم الأمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك، بخلاف من تنكب سبيلهم تراه ثاني عِطفه يظن أنه قد حقق التوحيد، فإذا أمر آمر به أو نهى عن ضده فلا يظن أبداً أن الكلام متوجه إليه، أو أنه مقصود مخاطب به !!..

فاللهم رحماك رحماك، إياك نسأل أن ترزقنا تحقيق التوحيد والعناية به، والحذر من الشرك والحذر منه .

﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖ...﴾ حسم بطانةُ الملك قضية رؤيا الملك - هكذا بالجهل - بهذه السذاجة واللامبالاة على عظمها !!..

وبتُّوا فيها بهذه السرعة رغم جهلهم الذي لم يخفوه !..

وكان حريًا بهم إذ جهلوا أن يحيلوا على أهل العلم والاختصاص ..

إن عدم اختيار البطانة الصالحة التي تحسن سياسة أمور الدولة، وتحرص على مصالح الرعية من أضر الأخطار التي يمكن أن تتهدد البلاد.

❁❁❁

﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ...﴾

يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لم تستغرقه اللحظة الحاضرة، بل كان يعي هدفه، وكان رشدُ عقله قادراً على السيطرة على مشاعره، والتفكير في مآلات الأمور وتبرئة النفس من أي تهمة لحقت بها، أو ربما تلحق بها مطلب شرعي . وعمد إلى تبرئة جنابه بأعف عبارة: ﴿مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾، فلم تكن عفة يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ تقتصر على ابتعاده عن المنكرات، بل بلغت عفة لسانه حداً يجعله لا يشير إلى المرأة التي حاولت فتنته، ثم سجنته هذا السجن الطويل، بل يذكر قرينة تشير إلى

القضية دون أن يصرح باتهام أحد، والذي يتجنب الفحش في الكلام لا يمكن أن يقع في فاحش الأفعال .

❁❁❁

بعد أن حصحص الحق وظهر أمر الله حصلت النقلة، فإذا بسجين الأمس بين عشية وضحاها يتوجه نحو القصر؛ ليكون شريكًا في الملك ﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾ !!..

فسبحان من بيده الملك، إذا قضى أمراً فإنما يقول له: كن .. فيكون ..

أوَ بعد ذلك يتطرق اليأس إلى قلوب عرفته ؟!!..

فما بال نفوس بعض المؤمنين امتلأت يأسًا ؟!!.. أليس الله عَزَّوَجَلَّ أهلاً لحسن الظن ؟!!.. ألم تجرِ سنته بتداول الأيام بين الناس، وقد حكم أن العاقبة للتقوى ؟!!..

فما أقرب النصر والتمكين لهذه الأمة المستضعفة المسلمة إن نصرت ربها، وراجعت دينها، واستقامت على سنة نبيها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ثم صبرت على التمحيص، عندها يخلق الأسباب خالق كل شيء كما خلقها ليوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إنه على كل شيء وكيل .

❁❁❁

قول يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ وإخباره عن نفسه بذلك ليس هو من التزكية المذمومة، التي هي من باب العجب أو الغرور أو الفخر، فما نُهي عنه هو قصد تزكية النفس، أما ذكر الكلام المنطوي على تزكيةٍ للنفس لغرض الإخبار بحق لحاجة أو ضرورة يتوصل بها إلى هدف مشروع هو المراد، لا أصل التزكية .. فلا حرج فيه، وقد يجوز تبعًا ما لا يسوغ استقلالاً .

❁ ❁ ❁

﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ ...﴾

خشي يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ على أبنائه من العين لكثرة عددهم .. والاحتياط مطلوب، والأخذ بالأسباب لازم، لكنه لا يغني عن العبد من الله من شيء ..

يجب الاعتدال في مسألة (العين) فلا يُبالغ فيها حتى يُعاد أي ضرر يحدث إليها، كما يفعل بعض الناس، ولا تُنكر فالعين حق .. وقد ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في صحيح مسلم قوله: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استُغسلتم فاغسلوا»..

ومع ذلك فقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ أسبابًا تمنع منها، كأوراد الصباح والمساء، وجعل أسبابًا شرعية أخرى للشفاء منها إذا أصابت .

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ... ﴾ ..

فيه دليل على جواز التناجي للمصلحة، إن كان المجلس عامراً بأكثر من ثلاثة .

❁❁❁

من الأساليب المهمة في التربية والتعامل مع الناس :

إعطاء المخطئ فرصة ليعود عن خطئه، فيوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يعدهم بالعفو فقط عن الجاني إذا رد الصواع، بل وعدهم بإعطائهم حمل بعير بدلاً منه، وأكد لهم الوعد: ﴿ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ... ﴾ وفي هذا دليل على أن الغرض ليس اعتراف الجاني، لكن المهم إصلاح ما أفسده وتشجيعه على التخلص من الذنب .

❁❁❁

قال يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لإخوانه: ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ﴾ ..

ولم يقل : من سرق؛ لأنه يعلم أن أخاه لم يسرق وإن وجد الصواع في رحله، فكان دقيقاً في عبارته، فهو لم يتهم أخاه كما لم يُثر الشكوك حول قضية السرقة، وإنما وصف القضية كما رآها الجميع .

من الظلم أخذ البريء بجريرة قريب ..

فيوسف قال لإخوانه: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ ..

فأخذ الناس بجريرة غيرهم من أشنع الظلم، وهو تعدٍّ على حرمات الله، وهو دأب الظالمين في كل زمان .

❁❁❁

﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ...﴾ عبر بالفعل المضارع ﴿نَرۡفَعُ﴾؛ ليفيد الحال والاستقبال إشعاراً بأن تلك سنة الله التي خلت في أوليائه، وهي السنة التي سيسلك بها من استمسك بشرعه إلى يوم الدين ..

ثم عقب التذييل الأول بتذييل ثانٍ فقال: ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦﴾ ليشعر بأن رفعة الدرجات متعلقة بالعلم، وليثبت أن أقصى رتبته لله الكبير المتعال؛ ولهذا عبّر بالفوقية ليشعر الظاهر بأن كل صاحب علم فوقه عليم هو الله ..

وفي هذه الآية بيان فضيلة العلم ..

❁❁❁

﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ...﴾ هذا سمو في الأخلاق، وضربٌ من الإحسان، ومرتبة من مراتب الصبر والصفح ..

وفيها من التنبيه على شيء من أخلاق الأنبياء السامية؛ لنتأسى بهم ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] ..

فقد كان يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في مقام يسعه فيه العقاب بحجة السرقة، بل في مقدوره أن يأخذ ولو بغير حجة، لكنه حَلُم فلم يُظهر مجرد تعليق خطر بباله !!.

۞۞۞

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾ ينبغي أن تكون الشورى ديدن كل مؤسسة تريد أن يُكتب لها النجاح ابتداءً من الأسرة وانتهاءً بالدولة ..

إن العقلية الفرعونية ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩﴾ [غافر: ٢٩] هي التي ضيعت العباد، وأضلت الناس عن سبيل الرشاد .

۞۞۞

﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ الأسف والحزن لا ينافي الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه؛ لأنه من باب الإخبار بما في النفس من قبيل قول نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون».

فلا غضاضة في الحزن، فقد حزن الأنبياء وحزن الصديقون وحزن الصالحون، قبل وبعد يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ .

ولكن لا يسوغ للمحزون وإن كان حزنه مباحًا أن يُخرجه عن حدود الشرع .

۞۞۞

﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الفزع إلى الله عَزَّوَجَلَّ عند نزول المصائب يربط على القلب ويقرب من الرب، ويخفف من وطأة المصيبة على النفس، وهو دأب الصالحين في كل زمان، ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا حزبه أمرٌ فزع إلى الصلاة .

۞۞۞

﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾ إذا دخل اليأس والتشاؤم على النفوس أحبطها وأتعبها وأثقلها، ومن كانت نفسه مهزوزة فأنى له النصر ؟!!..

إن خذلان النفس لصاحبها من أول أسباب انتصار عدوها .

وأما التفاؤل فيدفع الإنسان لتجاوز المحن، ويحفزه للعمل، ويورثه طمأنينة النفس وراحة القلب ..

والمتفائل لا يبني من المصيبة سجنًا يحبس فيه نفسه، لكنه يتطلع للفرج الذي يعقب كل ضيق، ولليسر الذي يتبع كل عسر .

❁❁❁

﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴾ عفو يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في هذا الموقف وحده درس من أعظم الدروس، إنه عظة وعبرة لأصحاب الأنفس الموتورة، والأحقاد المستورة، وما نالهم من الأذى معشار ما نال يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ !!..

فلم يكتفِ بإعلان العفو وترك التقريع حتى استغفر الله لهم .. فهل رأيت أسهل من أخلاق الأنبياء وألين من عريكتهم ؟!!.

❁❁❁

﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ٩٥ ﴾ عبارة فيها غلظة وخشونة ما كان لهم أن يوجهوها لأبيهم فضلاً عن نبي !!..

ينبغي إذا رأيت محزونًا .. إذا رأيت مصابًا أن تواسيه .. وإياك أن تضيف إلى مصيبته مصيبة وإلى حزنه حزنًا .. حاول أن تساعده وأن تبث التفاؤل في نفسه وأن ترفع من روحه المعنوية حتى تخفف مصيبته، فإن لم تستطع فكف شرك عنه .

تأمل في موقف يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع أبنائه لما قال له أبناؤه :

﴿يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾ كيف كان موقفه ؟!!..

هل طردهم ؟!!.. هل عاقبهم ؟!!.. هل عنفهم ؟!!..

بل ما ندّت منه عبارة ولا تفلتت من بين شفتيه لفظة، ثم ها هو يصفح الصفح الجميل كما صبر الصبر الجميل ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾..

فما بال بعض الآباء والأمهات والمسؤولين عندما يعثر إنسان أمامهم فيسقط في خطيئة، أو يجيء ذنبًا يهوون عليه بسياط اللوم والتثريب ؟!!.. ألا مدوا إليه أيدي الشفقة !!..

أيها الآباء .. أيتها الأمهات .. أيها القادة .. أيها المسؤولون ..

تعاملوا مع الناس بالشفقة ..

تعاملوا مع الناس بالرفق ..

تعاملوا مع الناس بالإحسان ..

تعاملوا مع الناس بالرحمة ..

ولتكن لكم في الأنبياء أسوة .

﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗا﴾ أجمع أهل العلم على أن هذا السجود سجود تحية وإكرام، وسجود التحية من قبيل تقبيل اليد، غير أنه حُرّمَ في شريعتنا؛ صيانة لجناب التوحيد وسداً لذريعة الشرك .. فقد نُسخ سجود التحية في شرعنا ونُهي عنه فهو محرم .

❁❁❁

قول يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا﴾ الأظهر فيه أنه ليس بتمنٍ للموت، فالحال والوقت - وقت لقاء الأبوين - يبعدان هذا، وإنما هو سؤال لحسن الخاتمة والثبات حتى الممات .

❁❁❁

﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾

مسؤوليتك هي الدعوة والبلاغ، وقل هي طريقي الممتد الذي أسلكه وأثبت عليه، وهذا يدل على أهمية الاطراد وخطورة الاضطراب .

❁❁❁

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾

إن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً، وإذا كان الأمر كذلك فاصبر

للبلايا فحينها يسير، واثبت للرزايا فأجرها كثير ..

ولا تكن مع الظانين بالله ظن السوء فإن الله أولى بالجميل، ولا تكن من القانطين فإنه عز ذكره يفرّج عما قليل .

الفوز الكبير في الآخرة منوط بالثبات على الطريق بعد ولوجها، وليس منوطًا بقطعها ..

والانتصار الحقيقي هو ثبات المرء على منهج الله، وذلك هو الفوز الكبير وإن مات أو قُتل !..

تأملوا في قصة أصحاب الأخدود ماذا قال الله في وصفهم؟..

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ [البروج: ١١] فهل رأيت في القرآن تعقيبًا يصف الله فيه الفوز بهذا الوصف إلا في هذا المقام ؟!..

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ ..

انتقاء من كتاب (تدبر سورة الكهف)

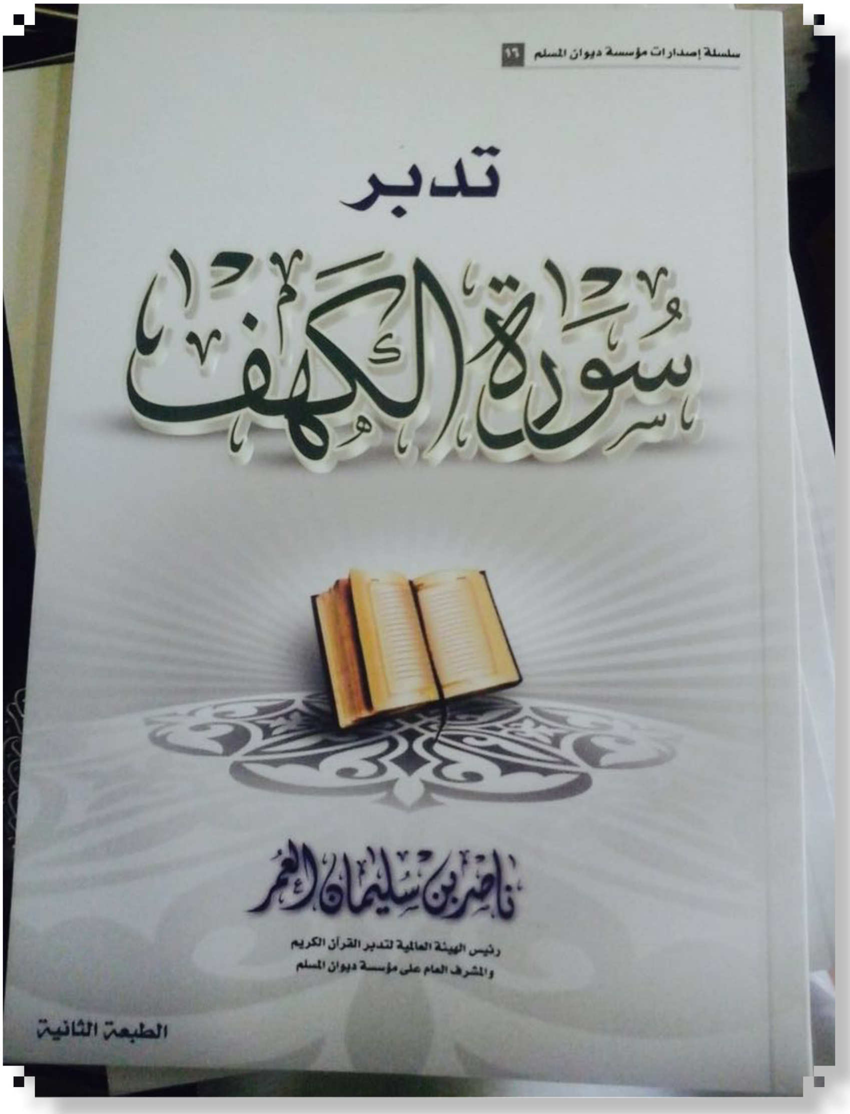

اشتهرت السورة بسورة الكهف، وتسمى سورة أهل الكهف وسورة أصحاب الكهف، ومرجعهما جميعا إلى أول قصة وردت فيها.

❁❁❁

قصة أصحاب الكهف قصة عجيبة جليلة تدل على قدرة الله وإرادته وقيوميته.

❁❁❁

حوت قصة أصحاب الكهف كثيراً من العبر والدروس التي يحتاجها المؤمنون دائمًا، فناسب أن تسمى السورة بها .

❁❁❁

الكهف هو الشق المتسع في الجبل، فإن لم يكن متسعًا فهو غار .. أشار إلى هذا الفرق الليث وغيره من علماء اللغة .

❁❁❁

جاءت تسمية سورة الكهف على لسان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غير ما حديث، كما في حديث الدجال: «فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف».

سبب نزول سورة الكهف: «سبب نزولها أن المشركين بعثوا رجلين منهم إلى أحبار اليهود بالمدينة، يسألونهم رأيهم في دعوة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فقال لهم أحبار اليهود: سلوه عن ثلاث، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم؟.. وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها؟.. وسلوه عن الروح ما هي؟.. ثم جاءه جبريل عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ بسورة الكهف، وفيها جوابهم عن الفتية وهم أهل الكهف، وعن الرجل الطواف وهو ذو القرنين» .

ذكرت هذه السورة أعظم الفتن:

الفتنة في الدين ..

والفتنة في المال والولد ..

والفتنة في العلم ..

والفتنة في السلطان ..

وفي وسطها الفتنة الأولى فتنة إبليس للأبوين .

سورة الكهف تضع للمؤمن كهوفًا تعصمه من أشد الفتن في حياته، فهي عاصمة من أعظم فتن الدنيا على الإطلاق، ومن أعظمها فتنة الدجال .

الذي لم تُفده سورة الكهف نجاة في حياته من فتن الدنيا، فحريّ به ألا تعصمه من فتنة الدجال !.

المتدبر لهذه السورة بقدر استفادته منها وتدبره لمعانيها، تكون صفات كهفه الذي يفزع إليه حال الملمة وأمام الفتن .

فضائل سورة الكهف:

سبب لتنزل السكينة ..

قراءة آيات منها تعصم من فتنة الدجال ..

تنير لصاحبها ..

حديث: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة» ضعّف كثير من الحفاظ لفظ (الجمعة)، وقالوا: إنها تُقرأ في أي يوم سواء الجمعة أو غيرها في النهار أو الليل .

سورة الكهف واحدة من خمس سور افتتحت بالحمد، وهي على ترتيب المصحف: الفاتحة .. الأنعام .. الكهف .. سبأ .. فاطر .

لما افتُتحت الكهف بالتوحيد بحمد الله، ناسب أن تُختم بالتوحيد: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ .

المحور الموضوعي لسورة الكهف هو:

تصحيح العقيدة، وتصحيح منهج النظر والفكر، وتصحيح القيم بميزان العقيدة.

تخصيص نعمة تنزيل القرآن في بداية الكهف؛ لأنه نعمة من أجل النعم، إذ فيه كل ما تحتاج إليه الأمة مما يتعلق بصلاح الدارين.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ فيها تشريف للنبي من وجوه:

- أنه لم يقل: (الذي أنزل الكتاب) بل قرن ذكره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذكر نعمة إنزال الكتاب.
- كذلك أنه قدّم ذكره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذكر الكتاب؛ ليبين عظيم منزلته.
- وكذلك أنه وصفه بالعبودية، إذ هي مقام عظيم (يشرف به العبد لانتسابه إلى جناب الله).

مَنْ منَّ الله عليه بالعلم ينبغي أن يكون عبداً لله .. فيا من شرفه الله ورفعه على ما سواه من الخلائق كن عبداً لله.

وصْفُ الله كتابه بعدد من الأوصاف تغري بالتزامه والعمل به، وتحذر من تركه ومخالفة أمره .

﴿لِّيُنذِرَ بَأۡسًا شَدِيدًا﴾ إذا تقرر أن القرآن ينذر بأسًا شديداً، فحقّ على كل عاقل أن يلتزم بكل ما فيه اتقاء ذلك البأس .

وصف القرآن بالبشارة والنذارة والجمع بينهما، منهجٌ قرآني فيه فائدة عظيمة للمربين ليسلكوا هذه السبيل، فالإنسان يحتاج إليهما وفيهما صلاح حاله .

﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةً تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ في الآية تنبيه على عظم أثر الكلمة وخطرها، فبعض الناس يطلق الكلام على عواهنه دون نظر في عواقب كلامه، فيجرّ على نفسه ومن حوله الويلات .. فلا بد من الحذر وكف اللسان، ففيه السلامة من العطب .

على الداعية أن يجاهد نفسه حتى يكون همه إيصال الحق للناس، وأن يكون حزنه إن ردوه لرد الحق لا لرد قوله، فإن فعل ذلك فيوشك أن يبلغ أعلى المقامات .

الاستعجال في غير موضعه يوقع صاحبه في واحد من أمور ثلاثة: التنازل .. أو الغلو .. أو القنوط .

﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ نكتة لطيفة .. لم يقل: (أكثر عملا) فلم يعلق المدح بالكثرة ولكن علقه بالحسن، وهو متكرر في القرآن.

في وصف أصحاب الكهف بالفتية ثناء عليهم بدلالة السياق؛ لأن الفتى يألف اللهو والباطل، فلما لم يصرفهم ذلك عن المعالي استحقوا التنويه !.

من وسائل الثبات سؤال الله الرحمة والرشاد ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠﴾ .

ينبغي على الداعية خاصة الذي يتربص به الشانؤون، أن يلهج بسؤال الله الهداية إلى الرشاد في أمره كله، عسى الله أن يستجيب له فيصلح من أمره .

الثبات المستحق للإشادة هو المنضبط على الحق الظاهر، فالفتية قاموا فقالوا حقاً، أما الثبات على الباطل فهو حري بالذم والتسفيه .

منهج الدعوة يجب البدء فيه بالأهم وهو التوحيد، فمع أنه لا تكاد تخلو دولة من منكرات، إلا أنهم بدؤوا بالتوحيد ونبذ الشرك .

سر هذا المنهج وهو: (البدء بالتوحيد) أن الإصلاح في أحد جوانب الحياة إذا لم يبدأ بالتوحيد فهو عسير أولاً، وغش للمدعوين ثانياً .

بعض الجماعات لا تهتم بالدعوة إلى التوحيد وقضايا العقيدة، خوفًا من خسارة المدعوين، فأي ربح بعد ذلك ؟!.

من علم أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، فحري به أن يلهج بدعاء التثبيت «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».

ليُعلم أن الله تعالى لن يخذل عبداً كان ديدنه الدعاء والالتجاء إلى مولاه، مع سلامة المنهج وصحة القصد .

القول على الله بلا علم ليس في المحرمات أعظم منه ولا أشد إثمًا، وهو أصل الشرك والكفر، وعليه أُسستْ البدع .

من لجأ إلى الله حق الالتجاء كان له ناصراً ومعينًا، وأحال عسر أمره يسراً، وجعل له من بعد الضيق فرجًا ومخرجًا .

كما نفعت الكلب مصاحبة الفتية وليس منهم، فكذلك أهل الخير وإن لم يعمل بعملهم مما ليس واجبـًا، فما أوسع رحمة الله وما أعظمها!.

﴿أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾ الحرام لا يكون زكيـًا، وكثير من الناس لا يتحرى الحلال، وهذا من أسباب شقاء كثير من البيوت والمجتمعات .

مجيء ﴿وَلۡيَتَلَطَّفۡ﴾ في منتصف القرآن فيه لطيفة، فهي تتوسط القرآن، والوسطية الحقة منهج رباني، وتقتضي كثيراً من التلطف .

البعد عن الفتن لا يعني أن يتخلى المؤمن عن دينه، فهذه أعظم فتنة يهرب منها !.

الفتية أرسلوا واحدا منهم فقط ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم﴾ .. وفيه درس مهم للدعاة وهو: تكليف العدد المناسب للمهمة، فالزيادة قد تُفسد العمل .

إذا كان التلطف مع الأعداء مطلوبًا لتحصيل منفعة دينية، فهو مطلوب مع المؤمنين من باب أولى، فعلى المربي مراعاة ذلك .

الحياة لا تخلو من المشكلات، والوصول إلى حلول هذه المشكلات لا بد له من تلطف وهدوء وتأنٍ، وكلما كبرت المشكلة زادت الحاجة للهدوء والتروي .

من الأخطاء الشائعة أن يستثني الناس فيما مضى، فيقال: سافرتُ إن شاء الله، وهذا لا وجه له لغة ولا شرعـًا ولا عقلاً .. فالاستثناء مقيد بما يكون في المستقبل (سأسافر إن شاء الله) .

إذا وقعت الخوارق على يد رجل صالح تقي فهذه كرامة، وإن وقعت للسحرة والدجالين ومنحرفي العقيدة فهي فتنة وبلاء واستدراج .

في قصة أصحاب الكهف تسلية للدعاة الذين يحملون هم الدعوة أن يتحلوا بطول النفس، ويتيقنوا أن العاقبة للمتقين، وأن الله ناصر دينه .

نال الفتية رعاية الله بما يلي:

التوحيد .. الرفقة الصالحة .. الثبات .. الهجرة والاعتزال .. حسن الظن بالله .. الدعاء .. الشورى .. اجتماع الكلمة .. اتخاذ القرار العاقل .

الحق لا يُعرف بكثرة أو قلة، بل الكثرة أكثر ما تجيء في القرآن مذمومة، فالزم جماعة الحق ولو كانت قليلة مستضعفة .

الدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن .

كثير من أهل البلاء يعيشون عيشة راضية لا ينالها كثير من أهل العافية، وسر ذلك أنهم أنسوا بالله فأزال عنهم وحشة الطريق .

يخطئ من يثق في قدرته على حفظ دينه وسط فتن تموج، وهو بمعزل عن أهل الصلاح، فالذئب يأكل من الغنم القاصية، ويد الله مع الجماعة .

المرء مهما بلغ من علو الشأن لا ينبغي أن يترفع عن أهل الخير، أو يعرض عنهم إن كانوا فقراء أو ضعفاء .

لطيفة .. قوله: ﴿مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ﴾ لم يقل لسانه، فقد تجد رجلاً دائم الذكر ولا تجد أثر هذا في دينه وخلقه ومعاملاته، والسبب أن ذكره بلسانه لا بقلبه .

أعظم انتصار يتمثل في الثبات على الحق، فلا ينبغي أبداً لأصحاب الدعوات أن يقدموا تنازلات في الثوابت، إما لضغوط أو لأجل أن يقبله الغرب والشرق .

الحق لا ينثني ولا ينحني، إنما يسير في طريقه قيماً لا عوج فيه، قوياً لا ضعف فيه، صريحاً لا مداورة فيه .

﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ دلت على أن النقص ظلم، فنقص الرجل زوجه .. والأب أولاده، كل هذا ظلم، ولو أن أي نقصٍ وقع عددناه ظلماً فأصلحناه، لتغيرت حالنا .

من اللافت في القرآن كثرة ذكر النخيل والأعناب معاً، لأنهما أعظم ثمار الحجاز، وأكلهما لا يحتاج عناية وإعداد، فذكّرهم بنعمه عليهم .

العطاء اختبار وابتلاء ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ وليس دليل إكرام وتفضيل، كما قد يظن كثير من الجهال .

الأصل في الدعوة أن يبدأ الداعية باللين والنصح، ولا ينتقل إلى غيره ما وجد إليه سبيلاً .

﴿حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي عذابًا، وخص السماء لأن ما جاء من الأرض قد يُدافَع، لكن ما نزل من السماء يصعب دفعه أو يتعذر .

الحوار منهجٌ رباني بشرط أن ينضبط بالأصول الشرعية، وهو كذلك ضرورة بشرية لا يستغني عنها مجتمع مهما صغر .

الدعوى التي يرددها البعض أن الإسلام لا يقبل الحوار .. دعوى فارغة لا تثبت، فالإسلام مع الحوار البنّاء، لا مع تمييع المفاهيم وإضاعة الحقيقة .

لا أحد أكثر إحسانًا وأشمل من الله، فنعمه واصلة للخلق جميعًا، فلزامًا على المؤمنين أن يشكروا ربهم على ما أعطاهم .

الاستعلاء بالمال داء عضال عاقبته وخيمة، وصاحبه هذا المتعالي ما هو إلا جاهل مغرور، وبعد غدٍ ستتكشف له الأمور .

الماء لا يقدر أحد أن يدخله ثم لا يبتل فيه، كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنتها وآفتها !.

لا متاع في الدنيا يحقق سعادة البشر؛ لأن السعادة الحقيقية هي الدائمة التي لا زوال فيها ولا شقاء، ولا يكون هذا إلا في ظل الإيمان والإسلام .

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ﴾ تقديم المال على البنين لأنه أسبق في الذهن، ولأنه يرغب فيه الجميع، وأن أحدا لا ينازع ماله، لكن قد ينازع ابنه .

الاستسلام أمام الغرائز لا يليق بالنفوس السوية، وهو انحدار إلى الحيوانية، والصواب أن الإنسان يجب عليه أن يهذب غرائزه .

﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾ تحذير لكل مكلف أن لا يستصغر ذنبًا فيتجرأ على محارم الله ..

قال الفضيل: يا ويلتاه ضجوا إلى الله من الصغائر قبل الكبائر .

من فقه المرء معرفة مداخل الشيطان وهي:

الكفر والشرك .. البدعة .. الكبائر .. الصغائر .. إشغاله بالمباحات .. إشغاله بالمفضول عن الفاضل .

في تصريف الآيات والأمثال والعبر في القرآن حياة للقلوب وهداية للبصائر، فلا بد من تصريف الدروس والمواعظ لما فيه من حياة للقلوب بالإيمان .

على المسلم أن يكون حكيمًا حصيفًا، فإن وجد أن الجدل سيعرّض ثوابت الدين أو فيه فتنة أو غيره فالأولى ترك الجدل .

أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لئلا ينتشر الظلم فيعم العذاب، فيجب أن يطبّع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع حتى ينجو .

سعى موسى للقاء الخضر؛ لأن الله زكّى له علم الخضر، فعلينا أن نطلب العلم المزكى النافع في الدنيا والآخرة .. وعلم الشريعة هو الذي زكّاه رب العزة .

فقد الحوت أمراً مكروهـًا ليوشع، لكنه علامة لقي العبد الصالح، فقد يكون فيما يكره الإنسان خيراً كثيراً، فالإنسان لا يعلم والله يعلم .

بركة صلاح الآباء تظهر على الأبناء، فلا تخف على أبنائك من بعدك إذا قمت بأمر الله، فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين .

أعظم وقاية من فتنة العلم هي الإخلاص، بأن يريد المرء بعلمه وجه الله عَزَّوَجَلَّ ورضاه.

للوعظ أهمية كبيرة في تذكير الغافلين ورد العصاة تائبين عابدين، فكم أحيا الله به من قلوب تخالها ماتت ؟!.

من العجيب أن بعض طلاب العلم يترفعون بل يتأففون من وصفهم بالوعاظ، مع أن أجلّ من وعظ هو الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله .

ذم السلف القُصّاص الذين زادوا وانتحلوا قصصًا مكذوبة، وأما الكتاب والسنة والقصص الواقعي المعبر فهو محمود مطلوب.

❁❁❁

على العالم أن يخفض جناحه لطلابه، فلا يُرى إلا متواضعًا ليبلغ إليه كل أحد، وإذا سئل عن علمه يرد الفضل إلى الله، ولا يرى من نفسه أنه أعلم الناس .

❁❁❁

عندما علم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن من عباد الله من هو أعلم بادر بطلب لُقيّه للاستفادة، فخلّد ذكره في القرآن ليكون منهجًا ربانيًا .

❁❁❁

إخفاق بعض المشاريع يرجع إلى هذه الآفة وهي:

قصر النَّفَس .. وضعف الهمة .. وعدم المثابرة .

❁❁❁

من ليس له صبر على صحبة العالم والعلم والثبات على ذلك، يفوته كثير من العلم فمن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن صبر أدرك .

استعمال الأدب مع الله في الألفاظ .. فالخضر أضاف عيب السفينة لنفسه ﴿أَعِيبَهَا﴾ وأضاف الخير لله ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ .

❁❁❁

استحباب العناية بأولاد الصالحين وتفقدهم وحل مشاكلهم لا سيما إن كانوا يتامى، كما أقام الخضر الجدار لليتيمين إكراماً لصلاح والداهما .

❁❁❁

أهمية العمل الاجتماعي، ومشاركتهم في شؤونهم، ومساعدتهم في حل مشكلاتهم، ودفع الأذى عنهم كما فعل الخضر .

❁❁❁

المنهج القرآني يطوي في أحيان كثيرة ذكر الأشخاص، ويُظهر الخصال والأوصاف التي يدعو إليها، فالتسمية وتركها .. والقص وتركه بحسب الثمرة والعبرة .

الأفعال هي التي تبقى بعد طي ذكرك وذهاب اسمك، وأنه لا تعلق بالأشخاص في الدين، لكن العبرة بالأفعال، فما وافق شرع الله أُشيد به .. وما خالفه رُد .

❁❁❁

الفقه يشمل العلم والفهم، وعلمٌ قليل بفقه وعمل، أفضل من علمٍ كثير بلا فقه ولا عمل.

❁❁❁

قصة ذي القرنين تشحذ همة المؤمن وتعلي منها، إذ سعى وجد واجتهد حتى بلغ حيث انتهت طاقته، ولم يفرّط في شيء مما أوتيه من أسباب .

❁❁❁

الاقتصار في الكلام على ما تدعو الحاجة إليه منهج قرآني .. تأمل ما ذكره الله في أول قصة ذي القرنين: ﴿سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ وهو سنة لنبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث أُعطي جوامع الكلم، فهل نتأسى بهذا المنهج المتين ؟.

❁❁❁

الشجاعة الحقيقية لا تتمكن من القلب إلا إذا امتلأ بخوف الله ومراقبته ورجاء ما عنده .

إذا أردنا التمكين فلا بد لنا كخطوة أولى من الرجوع إلى ديننا، والأخذ بالأسباب المشروعة لتحقيق نهضة شاملة تمتلك الأمة بها مفاتيح قوة العصر .

من سبل النجاة من فتنة السلطان الإيمان وتقوى الله جَلَّ وَعَلَا، وهذا يبدو جلياً في قصة ذي القرنين .

كل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرضية فهو باطل .

كل خسارة في الدنيا يمكن أن تعوّض أو يزول ضررها قريباً، أما إن أتت القيامة وقد كتبه الله من الخاسرين، فأنى تعوّض ؟!.

العبرة ليست بالصور الزائلة وإنما بالمعاني الباقية .. وإذا كان الكافر لا وزن له عند الله، فقدر المؤمن عنده على النقيض، والعبرة بالخواتيم !.

❁❁❁

العبادة والعمل على بصيرة لا بالأهواء، فقد أخبر الله عن أناس ضل سعيهم في الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا !.

❁❁❁

التصميم الداخلي للكتاب
للتواصل:
@abuhanyean
00201019530152
ثروت سلطان
Tharwat Sultan
القاهرة - جمهورية مصر العربية
TharwatSultan@yahoo.com